المشرق

قصر الشمع او بابل مصر

للاب ميشال جوليان اليسوعي

ليس بعيدًا من طرف مصر العتيقة من جهتها الجنوبيَّة على مسافة ٣٠٠ متر من ضفَّة النيل الشرقيَّة ترى سورًا مرتفعًا ذا منظر غريب مُفرَزًا من المنازل المجاورة لهُ فذاك هو قصر الشمع

ولهذا السور جدار يتركَّب من خمسة صفوف حجارة بين كلّ صفّ منها قِطَع من الآجرّ الضخم لا يشكّ رائيهِ انهُ من ابنية الرومانيين. ولهُ مدخل يجاريهِ غرابةً وهو عبارة عن باب وطيّ مصفَّح بالحديد يُنحدر اليهِ في خَفض من الارض عمقهُ متران وهو مثقوب في السور كأنهُ الصدع المشقوق. واذا تجاوزت عتبتهُ تراك في زقاق حرج قاتم بين حائطين مرتفعين استولى عليهما الخراب لا تكاد تجد في وسطهما منفذًا. وليس في ذلك الزقاق حانوت او طالب رزق ولا تسمع فيهِ ركزًا كأنك في ديار قفار لا يُرى فيها صافر ولا ديّار. على انَّك اذا سرت برهةً وسُمع صوت قدميك خرج من أكواخ ضيّقة بعضٌ من الصعاليك والفتيان عليهم اسمال رثّة يعرضون عليك انفسهم ليدلُّوك على الكنائس العتيقة التي في ذلك المكان

ومن اعتبر هذا السور الفخيم والابراج التي تعلوهُ مع ما في ضمن هذه الابنية من الآثار العديدة وبقايا النصرانيَّة الخطيرة ادرك ما كان لهذا المركز الاثير من عظم الشأن اذ كانت تتَّجه اليهِ ابصار العالم الديني والسياسي في سالف الاعصار

وهذه الاسوار بقيت ثابتةً زمناً طويلاً الى سنة ٦٣٨ في أيّام المقوقس (١ والي مصر الوسطى . وقد بُنيت مدينة الفسطاط في السهل الجاور لهذه الاسوار . قال المقريزي وغيره: والفسطاط الخيمة دُعيت بهِ المدينة الجديدة لانَّ خيمة عمرو بن العاص كانت ضُربت هناك والفسطاط اوَّل منشإ القاهرة

والنصارى على اختلاف مللهم منذ قرون عديدة يحجُّون الى قصر الشمع ليكرّموا في دهليز الكنيسة المعروفة بابي سرجه (اي القديس سرجيوس) المكانَ الذي حلّت فيهِ العائلة المقدسة بضعة أيّام عند قدومها الى مصر وفقاً لتقليد يرتقي الى عهد قديم . وقد شُيّد النصارى في قصر الشمع بيعاً فخيمة وثمّت جعل البعضُ من بطاركتهم سكناهم ولمّا حدثت الفتن بين نصارى مصر كان الاقباط يختارون بطاركتهم في هذا المكان ويقيمون فيهِ حفلةً شائقةً لتنصيبهم . فصار قصر الشمع كعاصمة دينيَّة يأوي اليها القبط

ومنذ عهد قريب رأت اللجنة التي اقامتها الحكومة المصريَّة لصيانة الآثار العربيَّة القديمة ما صارت اليهِ ابنية قصر الشمع من الخراب فصرفت اولاً همَّها الى ترميم الاسوار المحدقة بهِ . ومع علمها انَّ هذه الاسوار ليست من الآثار العربيَّة بل من بناء الرومان لم تأبَ ان تمدّ الى هذه البقايا جانباً من نظرها لئلا يلحق الدمار بالقليل ممَّا بقي من اعمال الدولة الرومانيَّة . وكان لاعضاء اللجنة املٌ بان يفوزوا في أبان حفرهم على كتابة قديمة تفيدهم تاريخ هذا البناء وتطلعهم على شيء من اخبار حصن قصر الشمع المجهولة . فباشر المهندسون بازالة الردم الذي كان مطموراً تحتهُ معظم الباب الروماني من جهة الجنوب ثم نبَّشوا اركان البرجين المحصّنين للباب بصوان ذي منافذ وهم اليوم يسعون بفتح

---

١) ليس هذا الاسم علماً وانما هو لقب قد اختلف العلماء في معناهُ واصل اشتقاقهِ وكذلك لم يتَّفق المستشرقون على ملّة المقوقس وعلى اسمهِ الصحيح فالبعض يدعونهُ جرجس ميناس بركيو وكان يعقوبيًّا . وقد اثبت مؤخرًا العلّامة الانكليزي بتلر ان المقوقس هو الاسقف الملكيّ كيروس كان هرقل الملك جعلهُ نائبهُ في مصر . وكان سابقاً اسقفاً على مدينة فاسيس في بلاد قوقاز وقيل انَّهُ دُعي المقوقس اشارةً الى اصلهِ هذا (καυκάσιος) وشرح البعض اسم المقوقس بمعنى الفاجر لخيانتهِ اشتقُّوهُ من اليونانيَّة « μαύχιος » . وقيل معناه المتقدّم والله اعلم (Butler : *on the identity* of «al-Mukaukis» *London* 1901

الطريق التي كانت تؤدي سابقًا الى المدينة وفوق هـذه الطريق كانت مبنية كنيسة عتيقة تدعى كنيسة المعلّقة. وقد تكلّفت اللجنة على هذه الاعمال الخطيرة تكاليف باهظة لا تقلّ عن ٨٠،٠٠٠ فرنك غير انها لم تجد حتى الآن شيئًا ممَّا أمّلتهُ بخصوص تاريخ هذا الحصن المنيع

وقد احببنا نحن ايضًا ان نبحث عن اخبار قصر الشمع لعلّنـا نكشف شيئًا من الحجاب المسدول دون اصلهِ القديم واصل السور الذي يكتنف بهِ فنفيـد قرّاءنا علمًا بمآثر مصر العتيقة

*

لا مشاحّة ان هذا القصر كان يُدعى في عهـد الدولتين اليونانيّة والرومانيّة باسم بابيلون او بابل وربّما اضافوا اليهِ اسم مصر فقالوا بابيلون مصر. وفي كتاب رحلة اطونين ان بين عين شمس (هيليوبوليس) وبابيلون اثني عشر ميلًا وهي بالتقريب المسافة التي تمتدّ من مسلّة عين شمس الى قصر الشمع. وجاء في قائمة مصونة في خزانة كتب اوكسفرد تتضمّن اسماء المدن الاسقفيّة في مصر انّ بابلون (وهي بابيلون) والفسطاط مكان واحد (١. ولا يزال اسم بابيلون محفوظًا باقيًا الى يومنا في اسم «دير بابلون» وهو دير للاقباط تدعوهُ عامّتهم «دير دبلون» موقعهُ على مئتي قدم من السور الروماني في جنوبيهِ

امّا اصل هذا الاسم الغريب فقد ورد في تواريخ اليونان. قال ديودورس الصقلّي (٢ ان سيسوستريس (رعمسيس الثاني) لمّا غزا بابل في العراق جاب منها عددًا من الاسرى الى مصر فاعتصبوا على اهلهـا وتمكّنوا من فتح قامةٍ دعوها باسم بلدهم بابيلون فتحصّنوا فيها وجعلوا يشنّون الغارات على البلاد المجاورة لها. ولم يزالوا على ذلك حتى ضايقهم جند المصريين فطلبوا الامان وخضعوا للسلطان

وقد عاين المؤرخ اسطرابون (٣ بابيـلون في رحلتهِ الى مصر وهو يدعوها حصنًا

---

١) راجع جغرافية مصر السُّفلى (J. de Rougé, p 155 Paris 1891)

٢) راجع تاريخهُ ك ١ ع ٥٦

٣) راجع جغرافيّتهُ (ك ١٧ ف ١ ع ٣٥) ولا شك ان اسطرابون اشار في الكتاب ذاتهِ الى هذه المستعمرة البابليّة عند ذكرهِ صنفًا من القرود يدعى كيبوس (κῆπος) يعبدهُ البابليون المقيمون بجوار منف

حريزاً مهملاً. قال: « وفي هذا المكان ركن البابليون الى الثورة ثمَّ نالوا من فراعنة مصر محلًّا يأوون اليه ». وهكذا ورد في تاريخ كتيسياس (١. ولفلاڤيوس يوسيفوس اليهودي (٢ رواية تختلف عن روايات اليونان بعض الاختلاف وهو يزعم انَّ بابلون مصر بُنيت بامر قمباسيس ملك الفرس سنة ٥٢٥ قبل المسيح بناها جنوده بعد فتحهم للقطر المصري

امَّا العرب فقد اختلفوا في اصل تسمية بابلون ومشيِّدها فهم يدعونها بابليون وينسبها بعضهم الى بابليون بن سبا. وبعضهم يدعونها باب ليون او باب اليون قالوا ان ليون اسم مصر بلغة السودان. واكثرهم يوافقون ابن سعيد وهو افتيخيوس المعروف بابن البطريق وينسبون قصر الشمع الى ملوك الفرس بنوه لمَّا ظهروا على الروم (٣

ولمَّا فتح المسلمون هذا الحصن دعوه باسماء شتى فسموه قصر الروم ودير النصارى ودير مار جرجس وقصر الشام (٤ ثم شاع بينهم وبين الاقباط اسم « قصر الشمع ». وفي هذا الاسم الغريب اشارة خفيَّة الى اسم بابلون السابق ذكره لان معنى بابلون في الكلدانيَّة القديمة « باب ايل » وايل عظيم آلهة البابليين كثيراً ما يريدون به الشمس والنور فيكون اذن معنى بابلون باب النور او مقام النور (٥

وكذلك ترى في روايات مؤرخي العرب عن قصر الشمع ما يدلُّ على هذا المعنى. وقد جمع المقريزي اقوالهم في كتاب الخطط والآثار (١: ٢٨٧) فنقل عن الواقدي انَّما دُعي بذلك لان هذا القصر كان يوقد عليه الشمع في ليلة رأس الشهر عندما تحلُّ الشمس في برج من البروج. ونقل عن غيره « انَّ الفرس بنوا هذا القصر وجعلوا فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي وعُرف بقصر الشمع لانهُ كان لهُ باب يقال لهُ باب الشمع » وروى عن القضاعي انَّ فارس لمَّا ظهرت على الروم « بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيه هيكلًا لبيت النار ... وهو القبَّة المعروفة اليوم بقبَّة الدخان وبحضرتها مسجد معلَّق احدثهُ المسلمون (٦»

---

١) راجع القِطَع التي نشرها منهُ دِندورف (Dindorf, L. II, p. 13)

٢) راجع كتابهُ العاديَّات اليهودية (ك ٥ ف ٢)

٣) راجع الخطط للمقريزي في طبعة بولاق (١: ٢٨٧) وتاريخ ابن بطريق في اعمال آباء اليونان لمين (المجلد ١١١ ص ٩٦٧)

٤) راجع معجم البلدان في مادة « قصر الشمع »

٥) قد اتَّبعنا في هذا الشرح ما كتبهُ دوبوا اماي (Dubois-Aymé) في وصف مصر (Expédition française V, 60)

٦) راجع ايضاً معجم البلدان لياقوت (٤: ١١٢)

*

فاكثر هذه الروايات تجيز لنا القول بانَّ قوماً من الفرس بعد فتوحات قمبابيس وداريوس احتلوا في قصر الشمع وانَّهم دعوا سكنهم باسم عاصمة بلاد العراق لما وجدوا من الشبه بين المقامين ووقوع كليهما على ضفَّة نهر عظيم · كما انهُ لا بدع في كونهم اتخذوا ديانة اجدادهم وعبدوا الشمس والنار · ويزيد هذا القول ما اكتشفهُ اصحاب العاديات من الآثار الدينية في جوار قصر الشمع ممَّا يشبه الآثار المكتشفة في هيكل الفرس القديمة منها مصابيح ومجامر وغير ذلك ممَّا يختصُّ بالمناسك الدينية عند المجوس (١

على ان في كل هذه الروايات القديمة بعض التباين لاسيما انَّ اقدمها لا يتجاوز عهد اوغسطوس قيصر فوجد العلماء المحدثون في كلامهم مجالًا للحدس والتخمين فجعلوا يبحثون عن تاريخ بابيلون مصر ويتقوَّلون على اسمها أقاويل لا تخلو من بعض الاهميَّة · قال العلامة مسپيرو (٢ انهُ من المرجَّح ان اسم بابيلون يشتقُّ من بانبونو او بارْبونو او بابونو الذي ورد في صورة « هات بانبونو » ويدلُّ على احد احياء مدينة عين شمس او بالحري على قرية قريبة منها كما ورد في قاموس بروغش الجغرافي (ص ١٩٤—١٩٥)

فعلى هذا القول يكون اسم بابيلون مشتقًّا من لفظة مصريَّة هي بانبونو فصارت بالتصحيف بابيلون وعلى هذا الاسم المصحَّف بنى اليونان القصَّة التي رويناها عن ديودورس الصقلي · ولنا في ذلك مثال آخر في اسم مدينة طروه الواقعة على ضفَّة النيل كان قدماء المصريين يدعونها طرويو (Troiou) فجعلها اليونان طرويه (Troia) كعاصمة بلادهم لما يوجد من الشبه بين الاسمين · فلمَّا جرت هذه الاسامي المصحَّفة على ألسنة اليونان اخذ المحدثون منهم في الطور المعروف بالساتي (époque saïte) يختلقون لها الروايات المختلفة لبيان اصلها الموهوم من البابليَّة او الكلدانيَّة او اليونانيَّة

---

١) وهذه الآثار هي في يد الدكتور فوكه (Fouquet) وُجدت في الاكمة القريبة من قصر الشمع وهي من حجر ارمد اللون أُتي بهِ من بلاد بعيدة وفي متحف اللوفر في باريس قطع شبيهة بهذه الادوات وجدها المسيو دي سرزك (de Sarzec) في العراق وهي اليوم معدودة في جملة الادوات المختصَّة بدين المجوس · ورسم المسيو غايه (Gayet) بعضها في كتابهِ عن « الصناعة الفارسيَّة » (ص ٢١ و ٢٢)

٢) راجع كتابهُ تاريخ الشعوب القديمة في الشرق (ج ٢ ص ٤٤١ في الحاشية ٢—١٨٩٧)

هذا هو رأي العلّامة مسپرو بيد انّ غيره من العلماء بالعاديّات المصريّة ومنهم بروغش (Brugsch) ودي روجه (de Rougé) زعموا ان بابيلون مصر هي بلدة خيرو (Khérau) القديمة اللاحقة بمدينة عين شمس (١. وقال بروغش في محلّ آخر انّ عين شمس المذكورة (اي هيليوبوليس) كان يدعوها قدماء المصريين هابنين وهو اسم مقدّس عندهم

وقد جاء حديثاً في مجلة المكتب المصري (٢ رأي ثالث لمسيو كازانوڤا احد اعضاء جمعيّة العاديّات المصريّة في القاهرة وهو على ظنّنا خير من الرأيين السابقين قال: ورد في الكتابات المصريّة القديمة انهُ كان في سالف الاعصار هيكلٌ ليس بعيداً من دير الاقباط المسمّى دير بابلون. وفي هذا الهيكل كان كهنة المصريين يُحلُّون بقرة أپيس معبودتهم لتستريح برهةً لمّا يسيرون بها من منف الى عين شمس. وكان اسم هذا المقام في القبطيّة « پي اپين اون » اي مقام اپيس في سيرها الى أون اي هيليوبوليس. فصحّف اليونان هذا الاسم وجعلوهُ « بابيلون ». وعلى رأي هذا العلامة انّ موقع « خيرو » في عبر النيل بازاء منف ويزعم انّها مدينة حلوان

هذه آراء متباينة اثبتناها هنا والله اعلم بصحّتها ولعلّ الاكتشافات المستقبلة تؤيد يوماً ما اوردهُ المؤرخون اليونان والعرب في نسبة بابيلون الى مستعمرة بابليّة او قُل بالحري فارسيّة

*

امّا زمن انشاء بابيلون فان سكوت هيرودت المؤرخ عنها يبيّن جليًّا انها لم تكن بعدُ بُنيت في عهده او انها كانت بلدة صغيرة خاملة الذكر. ومن المحتمل انّ بناءها حدث بعد سنين قلائل لمّا اغار داريوس الثاني على المصريين وكانوا انتقضوا على ولاته سنة ٣١٤ قبل المسيح

ولا غرو ان موقع بابيلون في رأس مصر السفلى فوق الرُّبى المشرفة على النيل يكون استلفت نظر الرومان. فاتخذوها في اوّل عهد فتحهم للقطر المصري كحصن منيع جعلوا فيه حاميتهم. وقد اخبرنا اسطرابون الذي زارها سنة ٢٥ قبل المسيح واحدى عشرة سنة

١) راجع قاموس بروغش الجغرافي (ص٦٢٥) وجغرافية مصر السفلى لدى روجه (ص٨٧).
٢) في عددها الاول من السنة الجارية

بعد الفتح الروماني انهُ وجد في بابيلون معسكر احدى الفرق الجنديَّة الثلاث التي كانت مرابطة في الثغر المصري (١

ومما اخبر بهِ ايضاً « انهُ رأى بين معسكر الجيش والنيل اكمةً. وكان نحو مئة من الفعلة يصعدون الماء من النهر بواسطة نواعير وادوات لولبيَّة. ومن اعلى الاكمة المذكورة يرى الناظر الاهرام التي موقعها بقرب منف في عبر النهر ليس بعيداً (٢ ». فمن هذا الكلام يُستدلُّ على انَّ المعسكر لم يكن في وسط السور الحالي بل على الربوة الصخريَّة التي تطلُّ عليهِ من جهة الجنوب بجوار دير بابلون (٣. ولو كان الجنود سكنوا في بُهرة السور لما احتاجوا الى عملة ونواعير ليصعدوا الماء. بل كان حسبهم ان يحفروا قليلًا في الارض لينبجس منها الماء.

و يؤخذ من قول اسطرابون عن منظر الاهرام من المعسكر ان الفرقة الرومانيَّة كانت ضاربةً قسماً من خيامها في مشارف الاكمة لان الاهرام لا تُرى من وطإ الارض وليس ربوة أُخرى بقرب قصر الشمع الَّا في جنوبيهِ وهي توافق تماماً الوصف الذي دوَّنهُ اسطرابون في رحلته. والمصريون يدعون الجبل الذي تتصل بهِ هذه الاكمة جبل جيوشي اللاحق بجبل المقطَّم وهي تمتدُّ الى قرب دير مار ميخائيل حيث ترى الى اليوم آثار مسيل النيل سابقاً لان التربة تنحرف هناك انحرافاً باغتاً وتحت هذا الفرز قناة للماء حفرها الرومان (٤

وقد دلَّ العلَّامة فورمون (Fourmont) في رسم القاهرة الذي نشرهُ نحو سنة ١٧٥٠ على آثار عديدة رومانيَّة كانت تُرى في عهدهِ مشوَّهةً فوق هذه الاكمة واليوم لم يبقَ منها شيء. ولعلَّ هذه الآثار كانت تنبئ بحمَّام الكتيبة الرومانيَّة. والمرجَّح انَّ الاهلين نقلوا حجارتها لابتناء المطاحن الهوائيَّة التي هناك

بيد انَّ الرومان بعد ان اختاروا هذه الاكمة لصلاحها للمدافعة والتحصين لم يلبثوا

---

١) يفيدنا كتاب تعريف الرتب (Notitia dignitatum, ed. Seeck p. 59) انَّ الفرقة الثالثة عشرة كانت محتلة في بابيلون والفرقة الخامسة المقدونية في منف

٢) راجع جغرافية اسطرابون (ك ١٧ ف ١ ع ٣٥ ص ١٤٤٦ من طبعة كرمر)

٣) راجع الخطط للمقريزي

٤) راجع كتاب الفرد بتلر في كنائس الاقباط القديمة (ج ١ ص ١٧٧)

ان يجدوا لها خللًا وهو بُعدها عن الماء فخافوا ان يحلق العدوّ حولها فيقطع عنهم ماء النيل وذلك ما حمل ولاة مصر ان يحوّلوا المعسكر فيجعلوهُ في سفح الجبل الَّا ان هذا الامر كان يستدعي تشييد سور منيع وابراج متينة تقوم في وجه العدوّ اذا ما طرأ على الحامية. فمن ثمَّ اقاموا السور الذي هو باقٍ حتى يومنا وشيّدوهُ حول بلدة بابيلون فصار اهاليها في وسط حصن حريز يدافع عنهُ الجند الرومانيون ويحتمون به من غارات العدى

*

اما تاريخ بناء سور قصر الشمع فهو مجهول وانما يمكننا القول فيه أنَّ اسطرابون لم يرهُ لمَّا قدم بلاد مصر. ولو كان مشيَّدًا لما ضرب عن ذكرهِ صفحًا وهو من الابنية المعدودة التي تدلُّ على سطوة الرومان وتأنُّقهم بالمباني الفاخرة في البلاد الغريبة الخاضعة لدولتهم

وقد ارتأى البعض انَّ هذا البناء يرتقي الى زمن القيصر طرايانوس وكان هذا الملك امر بحفر قناة توصل النيل ببحر القلزم وهي القناة المعروفة بالنهر الطرايانى (amnis trajanus) فيزعمون انهُ شيَّد قصر الشمع لحراسة رأس القناة الواقع قريبًا من هناك عند «فم الخليج» بعيد الى الشمال. فان رجح هذا القول كان عهد القصر نحو السنة المئة بعد المسيح. الَّا انَّ ارباب العاديَّات لا يرون في النقوش الباقية من هذا الاثر القديم ما ينطبق مع هندسة ذلك العصر. فانَّ الافاريز والنقوش الناتئة المرسومة على الباب والنسر الروماني الجاثم فوقه كلها في هيئة من السذاجة تدلُّ على انَّ هذا القصر اقرب الينا عهدًا. ولعلهُ من ابنية الملك بروبس (٢٧٦—٢٨١) فانَّ هذا القيصر ممَّن اغنوا ارض مصر بالمباني الحسنة كالهياكل والجسور والاروقة والقصور (١

ومن المحتمل انَّ قصر الشمع بُني بعد بروبس بمدة اعني بعد ظهور النصرانية في القطر المصري. وممَّا يحملنا على هذا القول. انَّ البرج الروماني الفاخر الذي يعلو كنيسة القديس جرجس في الطبقة السفلى مزدان بعمودين من عهد البناء القديم على رأسيهما نقوش تمثل ورق الشجر وفي وسط الورق صليب تامّ الصورة. فهذان الصليبان نُحتا بلا شك في زمن نحت العواميد وهما يدلّان على تغلُّب النصرانية في تلك الاصقاع. ولنا

١) راجع المؤرخ جيبون (ف١٢) وكتاب الفرد بتلر السابق ذكرهُ

ما يؤيد هذا الرأي في اعمال القديس تيل الشهيد المكتوبة بالقبطيَّة ومما يُخبر عنهُ ان المتنصبين اكرهوهُ على الخروج من بيت والدهِ في السادسة عشرة من عمرهِ وارغموهُ على الانتظام في سلك الجنود المقيمين في بابليون جنوبي مدينة اون (هيليوبوليس او عين شمس) فخدم مدَّةً تحت قيادة ضابط اسمهُ كاَيسترات حتى قدم والي مصر المدعو اريان فحلَّ بابليون وجمع الكتيبة الرومانيَّة وامر الجند بان يسجدوا للاوثان ... فامتنع تيل وقُتل شهيد ايمانهِ (١

على انَّ الاضطهاد لم يُفِد المتنصبين شيئًا فانَّ نصارى بابليون لم يزالوا في ازدياد ونمو حتى اقيم لهم اسقف يرعاهم (٢

ولمَّا صارت مصر تحت حوزة ملوك القسطنطينية جعل عمَّالهم مركز التدبير في الاسكندريَّة على انهم كانوا يتردَّدون من وقت الى آخر الى قصر الشمع وكان النيل في ذلك العهد متصلًا بالسور اذ مقياس وسط القصر وكانت القوارب والسفن ترسو عند الباب الغربي بين البرجين الضخمين الواقعين من جهة الغرب. والبرج الواحد منهما تراهُ يومًا حاملًا لكنيسة القديس جرجس. امَّا الآخر فقد صار خرابًا. ولعلهُ كان امام الباب الجنوبي خندق مملوء ماء وجسرٌ للعبور عليهِ. ينتج ذلك ممَّا اكتشفهُ ثمَّت حديثًا المهندسون فانهم وجدوا الارض في عمق مترين تحت عتبة الباب مفروشة بالبلاط ففي ايَّام فيضان النيل كان هذا الخندق يُغمر بالمياه

وبقي قصر الشمع على حالهِ الى عهد الفتح الاسلاميّ فبنيت الفسطاط وتحوَّلت بتمادي الزمان الى مدينة القاهرة. وكان بناء الفسطاط في السهل الحدق ببابليون كما ذكر المؤرخون. فيظهر من ذلك انَّ اقدم ما يوجد اليوم في القاهرة من الآثار انَّما هو محصور في ضمن السور الذي وصفناهُ وهناك الكنائس القديمة لاسيما كنيسة ابي سرجه والسرب الذي تحتها حيث اخذت العائلة المقدسة نصيبًا من الراحة في اثناء قدومها القطر المصري

وممَّا يُذكر فيُشكر انَّ عمرو بن العاص لم يخرب قصر الشمع والمعابد الدينيَّة التي كانت وسطهُ ولم يسمح لجندهِ بان يقتسموا ملك هذا القصر كغنيمةٍ بل جعلهُ وقفًا.

---

١) راجع Quatremère : *Mémoires geogr. et histor. sur l'Égypte* I, 45 *et seqq.*

٢) راجع كتاب الشرق المسيحي للوكيان (ج ١ ص ٢٨٧)

قصيدة الكُنت رُشيد الدحداح

في مدح باي تونس

كان جناب الاديب الشيخ سليم افندي الدحداح ذكر في خلال ترجمة الكنت رشيد الدحداح (المشرق ٦: ٤٩٠) قصيدةً عامرة الايات نظمها المذكور في مديح باي تونس نحو سنة ١٨٦٣. ولم يسعدهُ الحظ وقتئذٍ على وجود هذا الاثر الجليل ليثبتهُ في جملة اخبار حياتهِ. وقد توفّق آخرًا الى اكتشافها عند بعض اقاربهِ الافاضل فاحببنا نشرها في مجلّة المشرق لتكون كملحق لتاريخ ذاك الرجل الفريد . وهذه القصيدة عبارة عن نيّف و ٨٠ بيتاً وهي لاميَّة كقصيدة كعب بن زهير المشهورة . امَّا الممدوح فهو السيد محمد صادق باشا الباي الثالث عشر على تونس الغرب تولى الامر من سنة ١٢٧٦ الى ١٢٩٩ (١٨٦٠–١٨٨٣) . وقد بيَّنَّا في المشرق ما حظي بهِ الكُنت رُشيد من علو المنزلة عند امير تونس فلا حاجة الى التكرار ولهُ على قصيدتهِ هذه شرح مطوّل وكلاهما لم يُنشر حتَّى الآن

ل. ش

بانت سَعاداتنا والفَتح مكفولُ ... باسم المليك فلا تُلهيك عطبولُ (١

وأجفُ النسيبَ تسنَّى قربُها لكَ او ... بانت سُعاد فعنها القلب مشغولُ (٢

إنَّ المديح اولانا الخطير غدا ... وقفنا عليهِ فما لي عنهُ تهليلُ (٣

هو الهمامُ الذي جلّت محامدهُ ... بذلٌ عزيزٌ ومنهُ الجود مبذولُ (٤

محمَّدٌ اسمهُ المرفوع مبتدأً ... ممدَّحٌ فعلهُ بالرشد موصولُ

ممجَّدٌ شأنهُ اذ طاب عنصرهُ ... مفخَّمٌ قَدرهُ حلاهُ تبجيلُ

مسدَّدُ الرَّأي كابن العاص طاع لهُ ... من الامور الابيَّات العراقيلُ (٥

مشدَّد العزم ضاهى خالدًا بطلٌ ... وما ابن صفوانَ اعني فهو معذولُ (٦

يغزو العداة «بأنّي ظافرٌ بكم» ... فينكصون اذا ما لاح تهويلُ (٧

---

١) العطبول المرأة الحسنة الفتيَّة

٢) النسيب التشبيب بالنساء. وسعاد من اعلامهنَّ

٣) هلّل عن الشيء. نكص وحاد ... ٤) يقال رجل بِذلٌ اي شريف

٥) يريد بابن العاص عمرًا فاتح مصر وكان مشهورًا بحسن رأيهِ والعراقيل صعاب الامور

٦) يشير الى خالد بن الوليد صاحب الفتوحات الشهيرة والى معاوية بن صفوان اول خلفاء بني اميَّة

٧) يريد انهُ مؤيد بالظفر كانَّ شعارهُ «اني ظافر بكم» وهي جملة قرآنيَّة

نَدبٌ شجاعٌ سخيٌّ لوذعيٌّ حجى   برٌّ رؤوفٌ كثيرِ اللطف بُهلول (١
تكلّف البدرُ اذ حاكى محاسنَهُ   وفيهِ مع بَكَمٍ نقصٌ وتبديلُ
هلالُ شكٍّ محالٌ ان تطابقهُ   عينُ اليقين وقد اعماهُ تسخيلُ (٢
لكنما الشمس لم تجحد مزيّة مَن   وافى وفي نورهِ للحقّ تبتيلُ (٣
متى تُقاربُ مقام الغرب من خجلٍ   تصفرُّ وجهاً كأن فيهِ عقابيلُ (٤
فعينها ان تصبْ شيئاً يجفُّ وفي   تسويدها الناسَ تعبيدٌ وتذليلُ
لهُ عليها بتخضير الربوع وتبييض الوجوهِ وبالتحرير تفضيلُ
وحاسدو فضلهِ قد ضاق ذرعهمُ   لهُ الكمال وفيهم عنهُ تبغيلُ (٥
فالبرق مزّق جيبَ الصبر خُلّبُهُ   اذ قيل لم يلقَ وعدٌ منهُ ممطولُ (٦
والبحرُ ازبد بالامواج ملتطماً   لانهُ منهلٌ بالراح معلولُ (٧
جاورتُ بحرًا فما امسكتُ منهُ جنًى   الّا كما يُمسك الماءَ الغرابيلُ
لقد اجاور يومًا بعدهُ ملكًا   فيّاض نعمى وللحسنى جمليلُ (٨
إنّ ابن مامةَ والقعقاعَ ثمّ ابا   سفيانَ لا يذكرنهم بعدهُ جيلُ (٩
قد فاقهم باقتدارٍ مع حلًى وعلًى   إن قال اسعدتُ ذا فالامرُ مفعولُ
ناديهِ قبّة نجران اقصدوهُ فمن   جور الزمان بهذا العصر موؤولُ (١٠
ابا دلامةَ لا افقوكَ سائلهُ   ففي جواب عليّ جاه تمثيلُ (١١
لكن اقول وقد كبّرتُ من ثقتي   بهِ اليك الثراء اليوم موكولُ (١٢

---

١) النَّدب النجيب . والبُهلول السيد الكامل
٢) يقال سخّلهُ اذا عابهُ وضعّفهُ   ٣) التبتيل الاخلاص
٤) العقابيل بقية الداء   ٥) بغّل عنهُ اي قصّر واعيا
٦) البرق الخُلّب الذي لم يُعقبهُ مطر يُضرب فيهِ المثل للوعد الكاذب
٧) يريد انّ عربدة البحر تُشبه غيظ السكران الذي ضربت سورةُ الخمرة في رأسهِ
٨) جمليل للحسنى اي يجمعها كلها في شخصهِ
٩) يُضرب المثل في كعب بن مامة والقعقاع بن شور وابي سفيان بالجود والكرم
١٠) كان عرب اليمن يحجّون الى قبّة النجران بناها بنو الحارث وتدعى ايضاً كعبة نجران والموؤول الملجأ   ١١) عُرف ابو دلامة الشاعر بالإلحاح في الطلب
١٢) كبّر صاح الله اكبر . والثراء الغنى

وما الثراء بلا عزًى بمقربهم   نجحٌ ولكنهُ عندي المساقيلُ (١
امَّا اذا خصَّني منَّا بخدمتهِ   فالرغدُ محتكمٌ والهمُّ معزولُ
ما كلُّ سمحٍ مليكٌ فيهِ مقدرةٌ   ما كلُّ ملكٍ كريمٌ منهُ تنويلُ
فالمرءُ إنْ نال امرًا فاتهُ اربٌ   وقد يكون مع الفضل الرعابيلُ (٢
لكنَّ سيدَنا قد نال كلَّ مُنَى   تبارك الله موتي مَن يشا قولوا
عاف التعرُّضَ للاكفاء مكرمةً   ومَن تجنَّى على ذي السلم طِنليلُ (٣
لكن اذا حاولوا دوسًا لساحتهِ   تنتاشهم من حواليها عكازيلُ (٤
فواقفون لديهِ عند حدهمِ   محاملين وقارًا فيهِ تجميلُ
إن كاثروك فقُلْ لا يستوي وانا   فالمستقلُ وبي للإَمرِ معقولُ (٥
ان قِستَ فيهِ كرام العصر قاسهمُ   لهُ شتات معاليهم سرابيلُ
ذو محتدٍ عربيٍّ ملكهُ رِثةٌ   عن منجبٍ حسنت فيهِ الاقاويلُ
ما بالرعايا شقاقٌ في محبَّتهِ   كلٌّ مفدٍ وفيهم قيلهُ القيلُ
إن نال مَلْكٌ سواهُ من رعيَّتهِ   فالرزق من ملكهِ للناس مجعولُ
ما إن عليهِ ترى دينًا يباع ولا   قضاء معاوم دين الملك مجهولُ
وعرشهُ فلكُ المجد الرفيع لذا   اعوانهُ انجمٌ زهرٌ اهاليلُ (٦
فكلُّهم ناصحٌ حرٌّ بخدمتهِ   والمصطفى عندهُ للفضل اكليلُ
والبلد الطيِّبُ الارض التي شرُفتْ   بهِ فما لحماها الرَّحبِ تعضيلُ (٧
وسوف ترهو ليكسى بحرها سُفنًا   وتبتنى مُدنًا منها البراغيلُ (٨
لانَّ همتهُ العليا وحكمتهُ   لا يعجزنَّهما في الكون تحصيلُ

---

١) يريد انَّ السائل يصيب الغنى عند الممدوح مع صيانة ماء وجههِ عزّة نفسهِ. ولولا ذلك لكان الغنى لا طائل تحتهُ كالمساقيل وهو السراب
٢) الرعابيل اخلاق الثوب. اي ربما كان الفضل مع الفقر والثياب الرثَّة
٣) تجنَّى عليهِ تشكَّى والطنليل السيّئ الخلق الدنيء
٤) العكازيل براثن الاسد واظافيره. وتنتاشهم تتناولهم
٥) الامر بالفتح الحال و بالكسر العجب
٦) الاهاليل المهلَّة الساطعة الضوء   ٧) يريد تونس عاصمة الباي. وعضل المكان ضاق
٨) البراغيل الواقعة بين الريف والصحراء

فمنهما لنموّ الملك قد لمعتْ بروقُ سعيٍ بها للنجح تأميلُ
مهما يُرام لإسعاد البلاد بهِ من الامور لها من فضلهِ نيلُ
عزمٌ . وحلمٌ وانصافٌ ومعدلةٌ حزمٌ وعلمٌ واسعافٌ وتنكيلُ
وكلُّ ذا بعض ما مَنَّ الكريم بهِ وجاء منهُ عليهِ فيهِ تنزيلُ
مولايَ جدِّدْ أجِدْ اصلحْ أقِلَّ وزِدْ كمِّلْ ونظِّمْ فذا للملك تعديلُ
بمثلهِ العُجمُ نالوا من سباخهمِ ريعًا وخصبًا بهِ للعزّ توسيلُ (١
لكنْ بِجَدِّك بالآباء بالكرما آل أشبال مَن بيتُهم بالمجد مأهولُ
بالجود باللطف بالصيت الحميد باخلاقٍ لك الدهرَ منها الخير مسئولُ
لا تجعلنْ هذه الاعمال منشئةً شيئًا بهِ عن خلال العرب تحويلُ
انّ البديعِ لقد وفّى بوصفهمِ نِعم البيان ونِعم الوصف والجيلُ
والتابعو الهَذْب والتمدين انهمُ شطُّوا فجاء مع التصليح تعطيلُ (٢
حُبُّ التبذُّل اضحى مذهبًا لهمُ مع انَّ في بعضهِ خسرٌ وتضليلُ
نفيُ العظام سِناهًا عند بعضهمِ او ان يلي الامرَ كل الناس تجميلُ (٣
وآخرون اجدُّوا الحين فاختلقوا كلٌّ لهُ للكتاب الآن تأويلُ
تخرُّجٌ خاتُ فيهِ موت افئدةٍ في البعض او انَّ فيهِ الطبع مبدولُ
امرِ أسترَفُرِدَ مع كرلوسَ قِسْهُ على آل مهدي ومعنٍ فتكفيك التفاصيلُ (٤
لم يبقَ من عربيٍّ خضرمٍ علَمٍ لنا سواكم يرجّى منهُ تغفيلُ (٥
حُيِّيتَ من كوكبٍ بالغرب ذاع سنًا للخافقَين وفي علياهُ تظليلُ
بهِ وان كنتُ في صقعٍ بغيرِ هدًى لا شمس فيهِ على الخيرات مدلولُ
هديَّةٌ انت قد جاد الزمان بها وكم على مثلها لاقاهُ تبخيلُ

---

١) سباخ الارض ما لم يُزرع منها ولم يُحرث . والتوسيل التقرُّب بالوسيلة
٢) الهَذب الاصلاح ٣) سِناهًا اي سنة بعد سنة
٤) يشير الى الكُنت دي سترافورد (Cte de Strafford) وزير كرلوس الاول ملك انكلترة قُتل فذهب ضحيَّة إخلاص ولائهِ للملك الذي خدمهُ سنة ١٦٤١ . امَّا معن فهو معن بن زائدة وامرهُ مع المهدي الخليفة العبَّاسي مشهور
٥) غفلهُ وغفَّلهُ كفاهُ

ما كنتُ كالهدهد أنْ أهدِ المديح لكم ... لكنما لي اداء الفرض تنفيلُ (١

فهاكهُ من فؤادٍ صادقٍ دنفٍ ... بالحبِّ بعض الذي يحويهِ مقوولُ (٢

اذ انجب الدهر بالمولى ونِعم فتى ... أتحفتهُ بفتاةٍ حسنها السولُ (٣

دلَّت عليهِ وما ذلَّت لغيرِ فتى ... تاهت بهِ شخصهُ باللطف مشمولُ

قريحتي لم تكن من قبلها نتجتْ ... شعرًا على انَّ قلبي فيهِ متبولُ (٤

وأناملي للأقلام منذ فمي ... عاف الرضاعة اظآرٌ مطافيلُ (٥

وطالما صادمتْ مني اليمين بها ... دهرًا على اهلهِ في حكمهِ الغولُ (٦

هذا وقد كنتُ كالضبيِّ حتى بدا ... لي ذو عُلى مدحهُ للفتح تعجيلُ (٧

فقلتُ هذا مجال القول فابتدرنْ ... ففيهِ للَّسِن المرضيّ تخويلُ

ان لم اكُن فارس الميدان مقتفيًا ... كعبًا فلي في اقتدائي اليوم تفنيلُ (٨

او لم يكُ النظم مني شيمةً عُرفت ... فعادةٌ منك نثر البرّ مأمولُ

فاسعدْ ودمْ بحدنا عيشٍ يظلّلهُ ... مجدٌ وعزٌّ واقبالٌ وتبجيلُ

واعذرْ فاني بها اعذرتُ مجتهدًا ... وان فضلك للتعذير تغفيلُ

عادتْ لمدحك بالشعرى معلّقةً ... ونشرُها بنسيم الصبح محمولُ (٩

وفتحها سوف تُتلى بعدهُ صحفٌ ... وجوهُ شكري بها بيض يعاليلُ (١٠

فانْ يقلْ ناصحٌ خلِّ القريض ودعْ ... انَّ الامانيَّ والاحلام تضليلُ

اليك ما حرفة الآداب مسعدةً ... وما مواعيدها الّا الاباطيلُ

قلتُ اشعرنْ بعلى فيها شعرتُ وقل ... بانت سعاداتنا والفتح مكفولُ

---

١) يشير الى قصة الهدهد مع سليمان الحكيم . وهي من اقاصيص العرب الشائعة
٢) مقوول على اصل الكلمة بدلًا من مَقول
٣) يريد بالفتاة القصيدة التي نظمها ٤) المتبول الهائم المشغوف بالحب
٥) شبَّه الاقلام بالمرضعة الحديثة العهد بالولادة وجعل المداد السائل منها بمنزلة اللبن
٦) اي انَّ يمينهُ بالكتابة غلبت الدهر ثمَّ شبَّه الدهر في حكمهِ بالغول
٧) يشير الى مديح الضبي الشاعر للفتح بن خاقان الوزير
٨) يريد كعب بن زهير الذي عارض الشاعر بهذه القصيدة لاميَّتهُ الشهيرة
٩) الشعرى احد كواكب برج الجوزاء
١٠) اليعاليل جمع يَعلول وهو السحاب الابيض

كُتبي المخطوطة

بقلم جناب القانوني الفاضـل جرجس افندي صفا

الكتب من اهمّ ما يُعتنى بهِ لانها هي الحافظ الامين لآداب الامم واخلاقهم وتاريخهم وسياستهم واديانهم وعاداتهم ولغاتهم وكتابتهم وشرائعهم وعلومهم ومدنيّتهم واختراعاتهم وصناعاتهم بل هي نتائج عقولهم وزبدة اجتهادهم حتى انَّ من يطالع كتاباً يكون كانهُ يجالس من ألّفهُ ولو كان قد مرَّ على صاحبهِ مئات من القرون ويراهُ كأنهُ يخاطبهُ باحسن ما عندهُ ويطرفهُ بابدع ما اتّصلت اليه مداركهُ لان الناس يحفظون احسن ما يسمعون ويكتبون احسن ما يحفظون. ومن سوء الحظ نرى ان اكثر سكّان بلادنا لا يعتنون في جمع الكتب عنايتهم في الاثاث والرياش ونرى ان البلاد التي يعتني اهلها باقتناء الكتب والمكاتب اكثر تقدُّماً ونجاحاً

ثم ان للكتب الخطيَّة المضبوطة مزيَّة على الكتب المطبوعة خصوصاً اذا كانت قديمةً لانها تكون قد تداولتها ايدي المطالعين من علماء الفنّ الذي أُلِّف فيهِ فهي اوثق من كثير من الكتب المطبوعة التي يُقتصر فيها على مصحح واحد ربَّما كان غير كفءٍ للتصحيح كما سنبيّن ذلك في غضون هذه المقالة. وقد اجتمع عندي لهذه السنة جملة من الكتب الخطيَّة اسرد اسماء بعضها بالاختصار تفكهةً للقراء وعسى ان يتحفنا أُولو الفضل ممَّن عُنوا بجمع الكتب باسماء ما لديهم من التآليف العزيزة الوجود فان ذلك لا يخلو من الفائدة واقلّ ما فيها انهُ ربَّما كان كتاب جليل الّا انهُ غير مضبوط النقـل او نقص بعض اوراقهِ او تلف بعضها او تأكّل بتقادم الزمان فيستعين صاحبهُ على اكمالهِ او اصلاحهِ حين يرى ان نسخةً منهُ عند غيرهِ. وسأذكر ايضاً شيئاً من ترجمة اصحابها وتآليفهم وغير ذلك ممَّا يساعد الوقت على ذكرهِ بهذه العجالة

كتبي الفقهيَّة

امَّا الكتب المخطوطة التي عنيت بجمعها منذ الصغر حتى الآن فهي في الفقه:

١ (كتاب البزَّازيَّة) وهو كتاب فتاوى جليل يُعتمد عليهِ تأليف محمد بن محمد الكردريّ يقول المؤلف في مقدّمتهِ: «انهُ ذكر فيهِ خلاصة نوازل الايام ومختارات

المشائخ الكرام ليكون عونًا لمن تصدَّى للافتاء باللسان والاقلام » وقد كُتبت هـذه النسخة في سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩) وهي غاية في الضبط وعلى هامشها فوائد كثيرة وحواشٍ مهمَّة من فتاوى سعد افندي والمولى ابي السعود. وعليها هامش واحد بخط المولى ابي السعود نفسهِ. وقد عارضتُها بنسخةٍ طُبعت في مصر على هامش الهندية فوجدتُ بونًا شاسعًا بين النسختين فان نسختي الخطيَّة اكثر ضبطًا وقد كتبتْ عليها الايدي التي تداولتها عدَّةَ فوائد مهمَّة وبيَّنت ما وُجد في سائر النسخ المظنونة الضبط من الروايات. ويظهر من الهامش الذي عليها بخط ابي السعود انهُ عارضها بنسخة مقروءة على المؤلف

امَّا المؤلف فلم اقفْ لهُ على ترجمة فيما عنـدي من الكتب وغاية ما توصَّلت اليه انَّ وصفهُ بالبزَّازي انَّما كان لانهُ كان يبيع ثياب البزّ. وممَّا نُقل عنهُ ان السلطان مراد خان عزم ان يجمع بين البزَّازي والمولى محمد القاضي المشهور بالفنـاري للمباحثة في مجلسهِ بأدرنه. فارسل اليهِ المولى الفناري من تلامذتهِ مَن يثق بفضلهِ ليباحثهُ ويقف على تفاصيل احوالهِ ليكون هو على بصيرة من امرهِ عند المباحثة. فأتاهُ متنكرًا وهو ببروسة وسألهُ الحضور في مجلس درسهِ فاجابهُ اليهِ فلزم مجلسهُ ومكث عنـدهُ ثلاثة اشهر يقرأ عليهِ من كل فنٍ طرفًا صالحًا. ثم اتى المولى الفناري فاخبرهُ: « انهُ حبرٌ لا يُبارى وبحرٌ لا يُجارى في جميع الفنون لاسيما في الفقه خلا أنك لو عيَّنتَ مبحثًا وبالغت في تحقيقهِ وهو غافل عنهُ ارجو ان تغلبهُ ». فعيَّن من آيات الكتاب ووصى الحافظ بقراءتها واعطاهُ عطاء جزيلًا فلمَّا انعقد المجلس شرع الحافظ في التلاوة. فلمَّا اتمَّها امر السلطان بتفسيرها(١ فاندفع المولى البزَّازي بالتفسير وطفق يبيّن ما يتعلّق بالمقـام من كل جليل ودقيق واتى بامر بديع ثم قال: قد استنبطَ ائمَّتنا من هذه الآية كذا وكذا حكمًا ومن تلك كذا وكذا وفصَّل كيفيَّة الاجتهاد والتعليل في كل حكمٍ حكمٍ حتى اذا انتهى الى بيان كيفيَّة حكم من تلك الاحكام استعاد المولى الفناري تقريرهُ. فلمَّا اعادهُ اورد عليهِ اعتراضًا فقبلهُ المولى البزَّازي واستحسنهُ اه. كذا نُقل عن خط شيخ الاسلام المولى ابي السعود. وللبزَّازي من التآليف غير هذا الكتاب كتابٌ في مناقب الامام الاعظم ابي

١) جرت عادة العلماء ان يطلقوا لفظ التفسير لايضاح معاني الكتب المنزلة وكلام الانبياء والرسل ولفظ الشرح لغيرها من الكتب

حنيفة وتوفي البزّازي أواسط رمضان ٨٢٧ (١٤٢٤ م) ورأيتُ في بعض الكتب انهُ تباحث مع المولى الفناري حين دخل البزّازي بلاد الروم فغلب الفناري عليهِ في الفروع والبزازيّ في الاصول . قلتُ وهذه الرواية توافق الاولى

٢ (الفتاوى الخانيّة) للامام قاضي خان وهو كتاب جليل في الفقه معتمد عليهِ وقد كُتب في اوَّل نسختي ما يأتي : « كتاب فتاوى قاضي خان تأليف الشيخ الامام العالم العلّامة الحبر البحر الفهّامة فخر الملّة والدين مفتي الشرق والغرب الحسن منصور بن محمد الاوزجندي على مذهب الامام ابي حنيفة النعمان » . وهي نسخة مضبوطة مصحّحة لا يكاد يوجد بها سقط وقد عارضتها بنسخةٍ طُبعت في مصر فوجدت في المطبوعة اغلاطاً كثيرة مهمّة . والامام قاضي خان يسمّى فقيه النفس ويعتبر من اهل الترجيح . امّا لفظة خان فهي لقب خاصّ باهل الشرف في لغة الفرس . ولم اقف لهُ على ترجمة وللامام قاضي خان من التآليف شرح الجامع الصغير يوجد منهُ في المكتبة الخديويّة في مصر سبعة وعشرون جزءا ولهُ شرح الزيادات وكلاهما في الفقه

٣ ومنها كتاب صدر الشريعة (شرح الوقاية) وهو نسخة قديمة موثوقة كُتبت سنة ١٠٤٩ (١٦٣٩م) . وعندي تأليف آخر لهُ في العروض ساذكرهُ

٤ وكتاب (الفتاوى الخيريّة) وهو للشيخ خير الدين ابن احمد بن نور الدين علي بن زين الدين بن عبد الوهّاب الايوبي العليمي الفاروقي الرَّمليّ الامام المفسِّر المحدّث الفقيه اللغوي الصرفيّ النحويّ البياني العروضيّ شيخ الحنفيّة في عصرهِ ولهُ حواشٍ على منح الغفّار وعلى الاشباه وكتابات على البحر الرائق والزيلعي وجامع الفصولين وغيرها وديوان شعر مرتّب على حروف المعجم . ولد بالرملة من فلسطين ودرس في الجامع الازهر وبقي فيهِ ست سنين مكبّاً على المطالعة ونسخ الكتب النفيسة وافتى اخيرًا وهو هناك . ثم قدم الرملة في ذي الحجّة سنة ١٠١٣ (١٦٠٤م) واجتمع بعلماء غزّة ثم اقام ببلدهِ واخذ في الاقراء والتعليم والافتاء مع حسن السيرة وشاعت فتاواهُ في الآفاق . واخذ في غرس الكروم ومباشرتها بيدهِ وغرس الوفًا من اشجار الفاكهة وغيرها واقتنى املاكاً وعقارات كثيرة كان يباشر شغلها بنفسهِ وحصل على أكثر من الف ومائتي كتاب من نفائس الكتب . وكانت الوزراء والعلماء والامراء والموالي والمشايخ يسعون اليهِ واخذ عنهُ كثيرون منهم . وكان يحبّ الافادة ويكثر الاجازة ويكرم العلماء ويبش بالجليس مع

تواضع وحلم وانس ووقار وهيبة وحشمة وحسن عشرة وتودّد وكرامة منطق وادب زائد. وكان يداوم الاشتغال افادةً او كتابةً او مطالعة لهُ نفوذ عند القضاة والحكام. وقد تميّز بمتانة العبارة وبساطتها وقرب تناولها كما يعلم من تأمل فتاويه وكانت ولادتهُ سنة ٩٩٣ ووفاتهُ سنة ١٠٨١(١٥٨٥—١٦٧٠)

٥ ومنها (مجمع البحرين وملتقى النيّرين) وهو كتاب نفيس غريب في وضعهِ جمع فيهِ مؤلّفهُ مختصر الشيخ ابي الحسن القدوري ومنظومة الشيخ ابي حفص النسفي وقال انّهما بحران زاخران ونيّران مشرقان فسمّى كتابهُ « مجمع البحرين وملتقى النيّرين ». امّا وجه غرابة وضعهِ فان المؤلف التزم في الكتاب الدلالة على قول الامام اذا خالفهُ صاحباهُ بالجملة الاسمية الّا ان تقع حالًا معترضة فلا تدلّ على خلاف او تتضمّن نسبة رواية الى الامام. وعلى قول ابي يوسف بالفعلية المضارعة الفعل المستتر فاعلها. وعلى قول محمد بالماضية المستتر فاعلها. ولا قول لمحمد بالاسمية واردافها بالمضارعة. ولا قول لابي يوسف بالاسمية واردافها بالماضية. وهكذا التزم الدلالة على قول مالك والشافعي بجمل معيَّنة دون ان يصرّح باسم او يلوّح برمز وهذا دليل اقتدارهِ وطول باعهِ

وعندي من هذا الكتاب خمس نسخ الواحدة منها كُتبت فيما يرجّح بخط المؤلف وعليها شرح للمؤلف على الهامش. امّا وجه ترجيحي انها بخط المؤلف فلانّها مضبوطة المتن بالشكل الكامل مع علامات لمرجع الكنايات لا سقط فيها ولا غلط. واذا كان للفظ لغة اخرى او لغات ترى شكلها كاملًا بلغاتها وكذا الهامش فانهُ مضبوط للغاية وفي بعض اوراقهِ عندما تنتهي الكتابة ويبقى للمعنى تعلّق بآخر يَتبه انهُ نقل الى صفحة ثالثة او ثانية مع امتزاج التنبيه باصل الشرح شأن مؤلف لا ناسخ ولانّهُ مضاف اليهِ عدّة رقاع بنفس الخط وبعض الهوامش مضروب عليها ولانّ هيأة القدم ظاهرة على الكتاب وهو بديع الخط. وعندي نسخة اخرى من متن الكتاب كُتبت منذ نحو مائتي سنة وهي متوسطة الضبط. ونسخة ثالثة بخطي متنًا وشرحًا جرّدتُ بها الهامش وكتبتهُ مع الشرح لاجل سهولة المطالعة فيهِ. ونسخة رابعة متنًا. ونسخة خامسة مضبوطة للغاية متنًا وشرحًا والشرح لابن ملك. وفيها علامات ورقوم لبيان مرجع الكنايات وهي طريقة حسنة كثيرًا ما نراها في الكتب العلميَّة الخطيَّة القديمة. وحبّذا لو اصطلح

علينا الآن في الكتب التي تُطبع فانها تسهّل فهم المعنى جدًا لانهُ كثيرًا ما يلتبس المعنى لالتباس مرجع الكناية. ولمتن هذا الكتاب شرح آخر لابن فرشته لم اطلع عليهِ

اما مؤلف الكتاب فهو احمد بن علي بن تغلب بن ابي الضياء بن مظفَّر الشامي الاصل البغدادي المنشإ المنعوت بمظفَّر الدين المعروف بابن الساعاتي وابوهُ هو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصريَّة ببغداد. قال التميمي في طبقاتهِ: وكان احمد اماماً كبيرًا عالمًا علَّامة متقنًا مفننًا بارعًا فصيحًا بليغًا قوي الذكاء. قد فضَّلهُ واثنى عليهِ بعضهم ورجَّحهُ على الشيخ جمال الدين ابن الحاجب ومن تصانيفهِ الدرُّ المنضود في الرد على فيلسوف اليهود (يعني بذلك ابن كمونه اليهودي) (١ ومجمع البحرين في الفقه جمع فيهِ بين مختصر القدوري ومنظومة النسفي مع زوائد ورتبهُ فاحسن وابدع في اختصارهِ وشرحهِ في مجلدين كبيرين ولهُ البدائع في اصول الفقه جمع فيهِ بين اصول فخر الاسلام البزدوي والاحكام للامدي. قال البرزالي: وتوفي ابن الساعاتي سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٥م) وكان يُضرب المثل بفصاحتهِ وذكائهِ وحسن كتابتهِ

وقال في كشف الظنون ان مظفر الدين ابن الساعاتي ذكر في آخر كل كتاب من مجمع البحرين وملتقى النيّرين ما يشذ عنهُ من المسائل المتعلقة بذلك الكتاب وكان بخطّهِ من الكتب الموقوفة في جامع السلطان محمد الفاتح وقد ضرب في بعض مواضعهِ وكشط. فرغ من تأليفهِ في ثامن رجب سنة ٦٩٠ (١٢٩١م) وهو كتاب حفظهُ سهل لنهاية ايجازهِ وحلُّهُ صعب لغاية اعجازهِ بحر مسائلهُ جمٌّ فضائلهُ وقد شرحهُ بعضهم

ذكر المدرسة المستصريَّة في بغداد ووصف ساعتها العجيبة

(اقول) ما مرَّ من ان ابا ابن الساعاتي هو الذي عمل الساعات على باب المستنصريَّة الخ يريد المدرسة التي انشأها المستنصر بالله سنة ٦٣١ هـ في بغداد شرع بانشائها سنة ٦٢٥ (١٢٢٨–١٢٣٤م) وانفق في بنائها اموالًا كثيرة تولى عمارتها مؤيد الدين ابو طالب محمد بن العلقمي. وعند تمام بنائها نُقل اليها بامر المستنصر بالله من الكتب ما حملهُ مائة وستون حمّالًا وعين الشيخ عبد العزيز لاثبات الكتب واعتبارها

١) كان ابن كمونه قد صنَّف سنة ٦٨٣ هـ في بغداد كتاباً سمَّاهُ الأبحاث عن الملل الثلاث ثار عليهِ العوامّ وهاجوا وقصدوا قتلهُ فهرَّبهُ بعض الناس في صندوق مجلد وحُمل الى الحلَّة وكان ولدهُ كاتباً بها فاقام اياماً وتوفي هناك

وولدهُ ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب المستنصر التي في داره فرتبها احسن ترتيب مفصّلا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها. وتُخيّر لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفساً ورُتب لها مدرّسان وثانيا تدريس امّا المدرّسان فحيي الدين ابو عبد الله محمد بن يحيي بن فضلان الشافعي ورشيد الدين ابو حفص عمر بن محمد الفرغاني الحنفي. والنائبان هما جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن يوسف بن الجوزي الحنبلي والآخر ابو الحسن علي المغربي المالكي وامّا المعيّنون للخدمة بخزانة الكتب فهم الشمس علي بن الكتبي الخازن والعماد عليّ بن الدباس المشرّف والجمال ابرهيم بن حذيفة المناول

وقد انشد الشعراء المدائح فيها وفي منشئها قال العدل ابو المعالي القسم ابن ابي الحديد المدائني الفقيه الشافعي (١:

ما مُثّل الفلكُ العظيم لمبصرٍ في الارض قبل إيالة المستنصرِ
هذا بناءٌ معربٌ عن قدرةٍ رُفعت قواعدهُ بفعل مظهرِ
حسدت بهِ الارضَ السماءُ ولم يزل حسدُ الفضائل من طباع العنصرِ
انظرْ تجدْ نظم الثريّاً في ذرى شرفاتهِ وضياء نور المشتري
ضحك الزمان وذاك بعد عبوسهِ ورأى الصواب وذاك بعد تحيُّرِ
فالافق بين مذهَّبٍ ومفضَّضٍ والجوّ بين مكوفرٍ ومعنبرِ
والارض حاسرة القناع كأنّها خود تبرّج في رداء اخضرِ
ترهو بها عمر الخليفة فوقها علماً لاحكام البشير المنذرِ
بالجانبِ الشرقي بالشاطي الذي هو طور سينا كلّ صاحب منبرِ

ومنها:
ما حقّ دجلة ان تنوه بلفظةٍ قُهرت واي مُساجل لم يُقهرِ
غلب العطاءُ الماءَ فيها وانثنى سُدًّا يفوق صناعة الاسكندرِ
ان اصبحتُ بحرًا فان بنانهُ بافاضة المعروف خمسة ابحرِ
وضع الامامُ بها اساس بنائه والموج بين مجمجمٍ ومزمجرِ
قصراً ومدرسةً لمن طلب الغنى او رام شأوَ العالم المتبحّرِ
هي جنَّة الفردوس يجري تحتها من ماء دجلة ماءُ نهر الكوثرِ
حصباؤها درُّ النظام وتربها مسكُ الجنوب وطينها كالعنبرِ
لبس الغنيُّ بها شهامة ماهرٍ وغدا المقلُّ مزاحماً للمكثرِ
لم تخلُ من حبرٍ وشيخ فاضل يروي الحديث وساجدٍ ومعفّرِ
قد كانت الفقهاء قبل بنائها في كلّ قطرٍ واحد لم يذكرِ

---

١) هو شارح نهج البلاغة في عشرين جزءًا شرحاً بديعاً وقد طبع مؤخرًا في الهند بجزئين كبيرين في مطبعة حجريّة. وهي سقيمة الحروف وكان ابن ابي الحديد هذا معتزليّ المذهب

فرقاً يشقّ على المريد طلابها في الشرع والمطلوب كالمتعذر

وتلخيص شروط هذه المدرسة ان يكون عدة الفقهاء ٢٤٨ من كل طائفة ٦٢ بالمشاهرة الوافرة والجراية الدارَّة واللحم الراتب والمطبخ الدائر الى غير ذلك من الحلواء والفواكه والصابون وان يكون في دار الحديث التي بها شيخ عالي الاسناد وقارئان وعشرة انفس يشتغلون في الحديث وان يُقرأ الحديث في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل اسبوع وشرط لهم الجراية والمشاهرة والتعهد اسوة الفقهاء. وان يكون في الدار المتصلة بالمدرسة ثلثون صبيًا ايتامًا يتلقنون القرآن من مقرئ متقن صالح ويحفظهم معيدٌ معهُ ولهم من الجراية والمشاهرة والتعهد ما للمشتغلين بعلم الحديث وان يرتب بها طبيب حاذق مسلم وعشرة انفس من المسلمين يشتغلون بعلم الطبّ ويوصل اليهم مثل ما للمقدَّم ذكرهم وان يكون الطبيب يطبّ من يعرض لهُ مرض من ارباب هذا الوقف ويعطى المريض ما يوصف لهُ من ادوية واشربة وشَرَط ان يكون بها من يشتغل بعلم الفرائض والحساب الى غير ذلك ممَّا يطول تعداده

وفي سنة ٦٣٣ ﻫ (١٢٣٦م) تكامل بناء الايوان الذي أُنشئ مقابل هذه المدرسة وعُمل تحتهُ صُفَّة يجلس فيها الطبيب وعنده جماعتهُ الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ويقصدهُ المرضى فيداويهم. وبُني في حائط هذه الصفَّة دائرة وصُوّر فيها صور الفلك وجُعل فيها طاقات لطاف لها ابواب لطيفة وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب ووراءهما بندقتان من شَبَه لا يدركهما الناظر. فعند مضي كل ساعة ينفتح فم البازين ويقع منهما البندقتان وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات والباب مذهَّب فيصير حينئذٍ مفضَّضًا. واذا وقعت البندقتان في الطاستين يذهبان الى مواضعهما ثم تطلع اقمار من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقيَّة وتدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها فاذا جاء الليل فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثمَّ يبتدئ في الدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم بذلك اوقات الصلوات. ونظم الشعراء في ذلك اشعارًا منها قول ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي مدح بها المستنصر:

يا ايُّها المنصور يا مالكًا برأيهِ صعب الليالي يهون
شيَّدتَ لله ورضوانهُ اشرف بنيان يروق العيون

ايران حسنٍ وضءٍ مدهش بحار في منظره الناظرون
صوّر فيه فلك دائرٌ والشمس تجري ما لها من سكون
دائرة من لازورد حكت نقطة تبرٍ فيه سرٌّ مصون
فتلك في الشكل وهذي معاً كمثل هاء ركبت وسط نون

٦ وعندي كتاب (درر البحار وشرحهُ) اما درر البحار فهو للشيخ محمد بن يوسف بن الياس القونوي ضمَّ فيهِ الى مجمع البحرين مذهب الامام محمد بن حنبل مع زيادة فوائد تمسُّ الحاجة اليها ويعوَّل في الفتوى عليها دون ان يغيّر شيئاً من القاعدة المؤسس عليها المجمع . ودلَّ على مذهب الامام محمد بن حنبل بصيغة الامر والنهي وزاد الإعلام بموافقة الامام الشافعي واحمد وخلافهُ للامام مالك في خلافهِ فاقتصر على قولهِ اذا وافق الامام ابي حنيفة ودلَّ على وفاقهما للامام مالك وخلافهما بضمير التثنية وامن اللبس اذ كان بعد خلاف الامام مالك وعلى خلاف الشافعي ووفاقه لهُ بالماضي واحمد بالمضارع المستتر فاعلهما . وتمام ما وضعهُ من القاعدة مبسوط في مقدَّمتهِ

وشرح هذا الكتاب تأليف الشيخ محمد بن محمود المدعو بالشيخ البخاري وهي نسخة مضبوطة النقل حسنة الخط قديمة العهد نادرة . وقد ذكر الشيخ الامام ابن عابدين في حاشيتهِ على الدر ان عندهُ نسخة منهُ

ولم اقف على ترجمة المؤلف والشارح فيما عندي من الكتب عند كتابة هذه العجالة

(ستأتي البقية)

العام الخمسون لاختراع التلغراف

نبذة للاب الفونس فابر اليسوعي

في غرَّة آذار من السنة المنصرمة اقامت جمعيَّة التلغراف الفرنسويَّة عيداً شائقاً شرب اعضاؤها نخب العلماء الذين مدُّوا في فرنسة لاول مرَّة في ١ آذار سنة ١٨٥١ الاسلاك التلغرافيَّة فنقلوا بواسطتها الاخبار من بلد الى آخر وفتحوا بهذه الوسيلة طرقاً لضمّ الشعوب القاصية وربطها بعلائق الحب والوداد كما قال بعض المحدثين :

بالتلغراف الناس اضحوا اخوةً في كلّ ناحيةٍ على الغبراء
جُمعت بهِ الامم الأُولى قد فُرّقت من بعد فرط مشقَّةٍ وعناءِ

تلكم مناطق ألفة ومحبّة للارض في السرّاء والضرّاء

على انّ هذا الاختراع العجيب ليس هو ثمرة يوم ونتيجة عقل واحد وانّما بلغ الى كماله بعد الاختبارات العديدة والتحسينات المتوالية · وفي هذه الفرصة احببنا نحن ايضاً ان نلخّص تاريخ هذا الاكتشاف وما صار اليه من الترقي في هذه السنين الاخيرة

*

انّ الامم الغابرة عرفت ما ينجم من المنافع الجمّة اذا نُقلت الاخبار من بلد الى آخر على جناح السرعة · فسعى اصحاب الامر بايجاد وسائل كافلة بهذه الغاية الشريفة فمنهم من اقام رجالًا على مسافات معلومة يتناقلون بينهم الاصوات فيبلّغونها من مكان الى آخر بسرعة غريبة · ومنهم من نصب فوق رؤوس الجبال اعلاماً كان اهل الثغور القاصية يستدلّون بحركاتها او الوانها · ومنهم وهم الاكثرون كانوا يتخذون النار يضرمونها في اعالي الجبال او فوق ابراج شاهقة للدلالة على امورهم واحوالهم الشتى · وهي عادة قديمة ذكرها اوميروس الشاعر في كتاب الالياذ · وكذلك البعض لاسيما الخلفاء استعملوا الحمام الزاجل لنقل الاخبار · وقد جاء في تاريخ بيروت الذي نشرهُ المشرق (١ : ٣٤٥) انّ نوّاب الشام قرّروا اعلاماً ناريّة تصل من بيروت الى دمشق لحوادث الليل واتخذوا لحوادث النهار حمام البطاق والبريد

وممّن اشتهروا باختراع واسطة سهلة لنقل الاخبار الفرنسوي‌ان امونتون (Amontons) وكلود شاپ (C. Chappe) سبق الاول في اواخر القرن السابع عشر فابتدع طريقةً لرسم الحروف على الزجاج المصبوغ كان يقرأها القارئ بالمجهر من مسافة بعيدة ويرسمها لحظةً اخرى · لكنّ امونتون لم يتجز بالعمل اختراعهُ فحسّنهُ شاپ واخرجهُ الى حيّز الوجود فاشتهر وشاع وبلغ عمّال هذا التلغراف من الحذاقة وسرعة العمل ما كان يدهش العقول: فانّ الاشارات الاصطلاحيّة كانت تُنقل من باريس الى مدينة ليل بدقيقتين والى طولون بعشرين دقيقة · وبقيت هذه الطريقة جاريةً من سنة ١٧٩٤ الى ١٨٥١

على انّ كلّ هذه الوسائل مهما بلغت سرعتها ما كانت لتفي بالغرض تماماً فضلًا عن كونها تستوجب نفقات عظيمة بكثرة محطّاتها · وزد على ذلك انّ هذا التلغراف الجويّ لم يكن العمل بهِ ممكناً في الايام الغائمة فيضطرّ العمّال الى الانقطاع عن تبليغ الاخبار لاصحابها اكثر من نصف السنة

وكان اختراع الكهرباء قد بلغ في اثناء ذلك من الترقي ما لم يكن في حسبان العلماء فاخذ بعضهم يبحثون عن الطرائق لنقل الاخبار بواسطتها . والحقّ يقال انَّ هذا الامر كان خطر على بال كثيرين من مشاهير الطبيعيين منذ القرن السابع عشر والثامن عشر لمَّا اخذت تنجلي اسرار المغناطيس والكهرباء نخصُّ منهم بالذكر الانكليزي شرل مرشال سنة ١٧٥٣ والاب بوزولي (Bozzoli) اليسوعي وقد اصطنع هذا الاخير بعض امتحانات تلغرافية بالكهرباء في رومة سنة ١٧٦٧ نبَّهت افكار غيره من ارباب الطبيعة. على انَّ الثورة الفرنسيَّة حالت دون اتمام هذه المساعي الطية وبقيت السيادة للتلغراف النظري الذي ابتدعهُ شاپ حتَّى وقف ارستد (Oersted) على المغناطيس الكهربائي سنة ١٨٢٠ ففتح الباب للاكتشافات العجيبة التي خلدت اسماء امپير واراغو وفارادي وغيرهم من ائمَّة العلوم الطبيعيَّة . وممَّا عُنوا بهِ نقل الاخبار بواسطة المجرى الكهربائي فتوالت التجارب والاختبارات مدَّة عشرين سنةً فكان منهم مَن يُجيد ومنهم مَن يعثر . وممن احسنوا وتستون (Wheatstone) الانكليزي اختبر سنة ١٨٣٧ في لندن التلغراف الإبري ذا الإبر الخمس فكانت الابر الخمس المتمغنطة تتحرَّك بخمس دوائر مستقلَّة يجري اليها المجرى الكهربائي من بطريَّة . ثم انشأ بعد ثلث سنوات التلغراف الهجائي فكانت الابرة المغنطة عند سيلان المجرى الكهربائي تتحرَّك حول دائرة كُتبت عليها حروف الهجاء فتدلُّ عليها . وكان الاميركيّ مُرس (Morse) اخترع في تلك الاثناء التلغراف الكهربائي الطابع فكان السلك الكهربائي يتصل بمطرقة فاذا أُطلق المجرى ضربت المطرقة على الورقة فطبعت عليها نُقطًا وخطوطًا تدلُّ على حروف الهجاء . واستبدل وتستون هذه الطريقة بغيرها اقرب منها اذ كان المجرى الكهربائي يحرّك مطرقةً تضرب على الحروف المعدنية فتنطبع عليها . ولوتستون هذا يعود الفضل باختراع العُمد الخشبيَّة تُمدُّ عليها الاسلاك كما تُرى اليوم وقد عارضهُ في اختراعهِ احد مواطنيهِ المعاصرين لهُ يُدعى بان (Bain) فاخذ الانكليز والاميركيون وغيرهم يستعملون مذ ذاك الحين التلغراف الكهربائي بين بلدة وأُخرى حتى عمَّ استعمالهُ اوربَّة واميركة باجمعهما

امَّا فرنسة فتردَّدت حينًا قبل اتخاذها التلغراف الكهربائي فبقي عندها متزويًا مدَّة في مُختبراتها ومصانعها العلمية دون ان ينتفع بهِ الجمهور لصالحهِ حتى فاز اخيرًا برضى

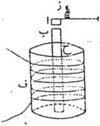
ارباب الدولة سنة ١٨٥١ . فكان ظهوره فيها ضربة لازبة على تلغراف شاپ الذي بطل استعماله بعد قليل امَّا التلغراف الكهربائي فانهُ اتسع نطاقًا وعمَّ فرنسة بعد عشرين سنةً حتى بلغ عدد عمَّال ادارة التلغراف ٥٠٠٠ عامل . واليوم يبلغ عدد الانباء البرقيَّة المرسلة تلغرافيًّا كلَّ سنة ١٩٠ مليون رسالة والمعدَّل اليومي منها في باريس وحدها بين ٨٠٠٠٠ الى ٩٠٠٠٠ رسالة . وفي أيَّام المعرض الاخير بلغت ١٠٥٠٠٠ عدًّا

ولسائل ان يسألنا هنا كم يلزم لهذه الرسائل البرقيَّة من سلك . فلو افترضنا مثلًا ان العامل يرسل النبأ الواحد بثلاث دقائق لما امكنهُ ان يُرسل في ٢٤ ساعة اكثر من ٥٠٠ رسالة برقيَّة . فيلزم اذن لادارة التلغراف ٢٠٠ سلك تلغرافي في باريس لارسال ١٠٠٠٠٠ رسالة . فكيف يمكن اتخاذ عدد كهذا من الاسلاك التلغرافية

هذا المشكل حُلَّ بعضهُ منذ سنة ١٨٥٣ باجراء اصلاح مهم مكَّن العمَّال من ايصال نبأين برقيَّين لجهتين مختلفتين في وقت واحد بسلك واحد

ولكي يفهم القرَّاء كيف توصَّل العلماء الى هذه الغاية لا بدَّ من ذكر المبدإ الذي يستند اليه التلغراف . فانهُ مبنيّ على استخدام ادوات الكهرباء المغناطيسيَّة ويمكن تقريره بهذه الالفاظ : « كل مجرى كهربائي يدور حول قطعة من حديد او فولاذ يمغنطها فان كانت القطعة من الفولاذ ثبت فيه التمغنُط وان كانت من الحديد الليّن انقطع التمغنط بعد مرور المجرى »

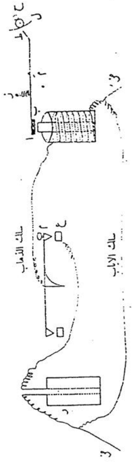
فان اخذنا مثلًا ملفًّا (ف) وجعلناهُ حول جُزءٍ من الحديد (ح) واوصلنا الملفَّ بآلة مولّدة للكهرباء وجدنا الحديد مُمغنطًا كل مرَّة تجري الكهرباء . ويُعرف تمغنطهُ بجذبه للقطع الحديديَّة التي تُجعل بجوارهِ . فلو جهَّزنا بقربه على مسافة بعض ملمترات من طرفهِ مخلًا صغيرًا (م) يستند الى لولب او زنبرك (ز) رأينا المخل في نقطة (ا) منجذبًا الى (ب) عند اجتياز المجرى ومنسحبًا عنها عند انقطاعهِ



الشكل الاول

فلنفترض الآن انَّ في طرف المخل ابرةً او قلمًا يجري تحتهُ لفافة من الورق فاذا

جرى المجرى الكهربائي رسم طرفُ المُخل على الورقة اثرًا باقيًا . فهــذا هو القابل التلغرافي بعينهِ



الشكل الثاني

امَّا الباعث فيجهَّــز بان يُجعل للاداة مُخل آخر بطرف حادّ (م) يتخذهُ المجيز كمفتاح يوصلهُ اذا شاء بقطعة من المعدن (ع) ويُسيل المجرى الكهربائي بوصلهِ

وفي الشكل الثاني ما يبيّن عمل التلغراف تمامًا . فلنضغط مثلًا الطرف (م) بالمعدن (ع) فتتواصل الدائرة المتركبة من البطاريَّة (ر) ومن الباعث والقابل وتجري الكهرباء في قطعة الحديد (ب) فيتمغنط ويجــذب القطعة المعدنيَّـة (ا) التي يمس طرفها (ط) لفافة الورق (ل) ويضغطها بمحادل الحبر (ح)

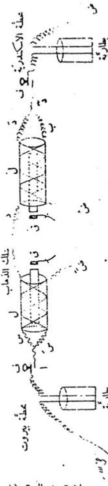
ولكن هذه الدائرة يمكن الاستغناء عن قسم منها وهو سلك الاياب . وذلك بأن تجعل الارض نفسها (ض ض) متصلةً بطرفَي الاسلاك لانَّ الارض موصلة للكهرباء فتقوم مقام سلك الاياب وتتمُّ الدائرة بها

وهــذا المبدأ كما ترى غاية في البساطة الَّا ان العلماء لم يزالوا يبنون عليهِ تجهيز ادوات جديدة تتوالى سنةً بعد سنة وتستدرك ما وقع من الخلل في ما سبق منها وتزيد في تحسينهِ . واغرب هذه الاختراعات ايجاد طريقة سهلة لارسال نبأين في وقت واحد لجهتين متعاكستين واليك الامر

فلنعتبرنَّ محطَّتين تلغرافيَّتين بين بيروت والاسكندريَّة متشابهتين بالتمام . وفي كل محطَّة بطاريَّة كهربائيَّة يتصل بها السلكان اللذان بهما تتمّ الدائرة

فيوصل احد هذين السلكين بالارض امَّا الآخر فيتصل بطرف الباعث. ثم يجعل على القطعة (ب) سلكان آخران يدوران دورة متعاكسة حول ملفَّة المغناطيس الذي منهُ تتولد الكهرباء في القابل. واحد هذين السلكين يوصل بالارض والآخر هو سلك الخط التلغرافيّ

وممَّا يقتضي التنبيه عليهِ انَّ المجرى الكهربائي اذا دار حول قطعة من الحديد في وسط ملفّ يولد في الحديد قطباً جنوبيًّا في شمالي المجرى. فينتج من هذا انهُ اذا جرى في الملفّ مجريان متعاكسان بشدَّة واحدة بطل عملهما ولم يعد الحديد مُمغنطاً. وفي الواقع قد وُضع السلكان حول الملف بحيث يتوازن عملهما



الشكل الثالث

فلنفترض الآن ان عامل بيروت يُرسل وحدهُ نبأً برقيًّا فيغمس مفتاح الباعث (ف) فيضغط طرفَي القطعة (ا) وتتمّ الدائرة. فالقابل (ق) يبطل فعلهُ لانَّ السلكين (س) و(سَ) مستديران باستدارة متعاكسة حول حديد الملفّ (ل) (راجع الشكل الثالث)

امَّا في الاسكندريَّة فان مفتاح باعثها (فَ) لا حركة لهُ وكذلك بطاريتهُ لا عمل لها فلا يبقى الَّا مجرى واحد تولدهُ بطاريَّة بيروت وهو يجري في سلك الذهاب الى (د) ومنهُ الى (دَدَ) ثم يعود حول الملفّ (لَ) بالسلك (ب) ويتصل بالارض لتمام (ضَ) الدائرة

فيرى القارئ كيف انَّ المجرى بذهابهِ وايابهِ حول الملفّ (لَ) جرى جريًا واحدًا لجهة واحدة ولذلك تمغنط بهِ الحديد وحرَّك القابل (قَ) وبتحريكهِ رُسمت علامة على الورق (١

---

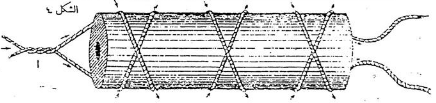
(١) لبيان ذلك افترض ان من النقطة (١) يبرز سلكان ملتفَّان حول الملف التفافًا متعاكسًا فترى (من الشكل ٤) انَّ المجريَين يبطل فعلهما

واذا ارسل العاملان في بيروت والاسكندريَّة تلغرافًا في وقت واحد بطل فعل الجاري المتماكسة ولا يجري مجرًى من سلك الذهاب. ولا فعل الَّا لجاري بيروت الجارية في (س) تعمل في قابل محطَّتها (ق). وكذلك مجاري الاسكندريَّة الجارية في (ب) تعمل في قابل محطَّتها (قَ) فترتسم ارقام او حروف في وقت واحدٍ في المحطتين وذلك بقوَّة كلٍّ منها الخاصَّة بذاتها. فترى مما سبق ان المجاري لا تزال تفعل فعلها سواءٌ كانت في وقت واحد او وقت مختلف الَّا انها اذا كانت في وقت واحد حصل النبأ في المحطَّتين معًا واذا كانت في وقت مختلف لم تفعل الَّا بمحطَّة واحدة

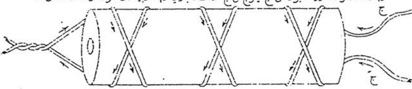
وهذا الاختراع العجيب قد نال ايضًا ترقيًا متواليًا وتحسنات عديدة حتى انهُ يمكن اليوم ارسال اربع بل ثماني رسالات في وقت واحد لجهات شتى

وقد افادتنا الجرائد العلمية آخرًا ان المسيو مركدياي (Mercadier) اكتشف تلغرافًا يسمح بارسال عدَّة رسالات برقية في وقت واحد. وقد بنى اكتشافهُ على هذا المبدإ الطبيعي وهو انهُ يمكن في المكان الواحد وجود اهتزازات كهربائيَّة عديدة لا تختلط بعضها اذا اختلفت سعةً. وفي هذا الاكتشاف ما يجعل للتلغراف البرقي فوائد جديدة في اهميته على انَّ وصفهُ يقتضي منَّا الاتساع في الكلام فاقتصرنا على ذكره فقط. ومنهُ يتضح للقرَّاء ما بلغهُ هذا الفن من التقدم وما يجدهُ العقل البشري بالبحث والجدّ من الاسرار المكنونة في طبيعة الكون

الشكل ٤



وبخلاف الامر اذا ورد المجرى من ج ليخرج من جَ كانت المجاري كلها متَّجهة الى طرف واحد (الشكل ٥)



الشقيقتان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

اطلعنا على العدد الاول من السنة الخامسة عشرة (كذا) لمجلّة «الكنيسة الكاثوليكيَّة» الصادرة مرَّة في الشهر من دير الشير (لبنان) بادارة الايكونوموس تاوفانوس البدوي الجزيل الاحترام. فاستبشرنا بطالع هذه النشرة المفيدة التي ادَّت سابقًا للكنيسة خدمًا تُذكر فتُشكر

ومن جملة الابحاث التي وردت في هذا العدد نبذة عنوانها «الكنيسة اليونانية: ما هي وماذا كانت والى مَ آلت» افتتح بها مديرها الفاضل مقالاته الهامَّة وضمَّنها هذه المرَّة تعريف الكنيسة اليونانيَّة واعدًا قرَّاءهُ بان يبيّن لهم قريبًا ماذا كانت والى مَ آلت. فتصفَّحنا هذه الطرفة رجاء ان نقتبس من فوائدها ونلتقط من فرائدها لكنَّنا ما لبثنا ان لحظنا ان صاحبها يمزج الغث بالسمين ويظنُّ كلَّ بيضاء شحمة. وما كنَّا لنتعرَّض لهذه المقالة لولا ضنُّنا على شرف هذه المجلة التي وقفت نفسها في السابق للمدافعة عن المبادئ الراهنة والعقائد الصحيحة. وغاية ما نتمنى ان تعضدنا في هذا المشروع الجليل وتسعى معنا في توطيد معالم الدين القويم. وهذا اول المقالة:

«ان الكنيسة اليونانية التي يطلق عليها المؤرخون غالبًا اسم الكنيسة الشرقية تمييزًا لها عن شقيقتها الكنيسة اللاتينية او الغربية ليست بمقصورة على بلد واحد او امة واحدة كسائر الكنائس الفرعيَّة المنتسبة كل منها الى الامة القائمة بها وانما هي الكنيسة الجامعة لكل الامم والبلاد الجارية على الطقس اليوناني سواء جرت عليهِ منذ تأسيسها وما زالت محافظة عليهِ الى يومنا هذا او اعتمدتهُ مدة من الزمان ثم نهجت سواهُ لاسباب وشؤون متنوعة وبقيت على نهجها الجديد الى اليوم»

*

واول ما يلوح من هذه النبذة ان صاحبها يعتبر الكنيسة اليونانيَّة كشقيقة الكنيسة اللاتينيَّة او الغربيَّة (ص٣) كأنَّ المسيح انشأ كنيستين الواحدة شرقيَّة او يونانية والاخرى لاتينيَّة او غربيَّة ولو رجع صاحب المقالة الى شعار مجلَّتهِ لرأى انَّ تصوّره هذا في الكنيسة لباطل اذ كتب فيها «أومن بكنيسة واحدة مقدَّسة رسوليَّة» فاذا كانت الكنيسة واحدةً فاين المحلُّ للشقيقتين

ثمَّ قال انَّ هذه الكنيسة شقيقة الكنيسة اللاتينيَّة هي « الجامعة لكل الامم والبلاد الجارية على الطقس اليوناني الخ » فينتج من ذلك انَّ الكنيسة اليونانيَّة التي تتألف من ذوي الطقس اليوناني اي الملكيين والبلغار واليونان والسرب والروس والمجر وغيرهم هي مع اختلاف هؤلاء الشعوب بالمعتقدات شقيقة الكنيسة اللاتينيَّة فصارت كنيسة المسيح مجتمع عقائد متباينة · مع انَّ هذا يخالف تعريف الكنيسة كما تعلَّمناهُ منذ حداثة سنّنا وكما ورد في تعليم الروم الملكيين نفسهِ المطبوع في مطبعتنا سنة ١٨٧٢ (ص ٩٤) والتعليم الذي طبعهُ سابقًا غبطة البطريرك الجليل بطرس الرابع اذ كان مطرانًا على بانياس سنة ١٨٨٦ (ص٦٠) وقد جاء في كليهما ان الكنيسة يقال لها واحدة « لانَّ كلَّ الذين يؤلفونها يعتقدون بايمان واحد ويشتركون باسرار واحدة ولانَّ لها رأسًا واحدًا غير منظور وهو سيدنا يسوع المسيح الذي اقام لها رأسًا واحدًا منظورًا وهو القديس بطرس هامة الرسل وامام صفيهم وخلفائهُ بابا رومية الحبر الاعظم نائب المسيح وابو المؤمنين المعصوم في تعليم الايمان والآداب » . فان قال انهُ يريد العدد القليل من المتكثلكين بين هذه الطوائف الشتى فذلك يناقض تعريفهُ للكنيسة اليونانيَّة

ثمَّ قال حضرتهُ (ص ٦) : « انَّ الطقوس اليونانيَّة بقيت شائعة في الاجيال الاولى في رومة امّ الكنائس وفي كثير من مدن ايطاليا وافرنسا واسبانيا » . فاذا قابلنا هذا الكلام مع ما سبق لهُ من تعريف الكنيسة اليونانية « الجامعة لكل الامم والبلاد الجارية على الطقس اليوناني سواء جرت عليهِ منذ تأسيسها وما زالت محافظة عليهِ او اعتمدتهُ مدَّة من الزمان ثمَّ نهجت سواهُ » نتج كنتيجة لازمة ان الكنيسة الغربيَّة نفسها هي ايضًا من الكنيسة اليونانيَّة فليست اذن الكنيسة اليونانية شقيقة لها بل لا يوجد سوى كنيسة واحدة هي الكنيسة اليونانية · وهذا لعمري من النتائج الغريبة التي لا يرضى بها صاحب هذه النبذة كغيرهِ من الكاثوليك الَّا انها ناجمة عن المقدّمات نجوم الشجرة من نواتها والزهرة من نباتها

ويؤيد حضرة الكاتب هذه النتيجة المخالفة للتعليم الكاثوليكي بقولهِ (ص ٦) انَّ الكنيسة اليونانيَّة اذ لم تستمدَّ شيئًا من طقوس غيرها واستمدَّ غيرها منها (وفي جملة هذه الكنائس المستمدَّة الكنيسة اللاتينيَّة كما سبق) هي الاصل وبقيَّة الكنائس (حتى الكنيسة اللاتينيَّة) هي الفرع

أفلا يستغرب حضرة الكاتب هذه النتيجة ولعلَّهُ لم يفكّر فيها اذ سطَّر ما سطَّر وغاية ما يريد ان يثبت شرف الكنيسة اليونانيَّة فخدعت لسانهُ محبَّتهُ لطقسهِ

*

ولكن دعنا نبحث عن بعض مزاعم هذه المقالة تاريخيًّا لنرى ما فيها من الصحة :

(اولًا) حاول حضرة الكاتب ان يبيّن انَّ اللغة اليونانية كانت اللغة الاولى التي انتشر فيها الدين المسيحي . ولكن ننشدهُ الله ان يفيدنا هل كانت لغة المسيح هي اليونانيَّة وكلّ صفحة من صفحات الاناجيل تبيّن جليًّا انهُ تكلم بعبرانيَّة يهود ذلك العصر اي الآرامية الفلسطينية . قال العلامة ساخو في مجلة الشرق المسيحي (١٩٠١ ص ٤٧٦) : « قد تكلَّم المسيح ومعاصروهُ اللغة الآرامية (١ »

(ثانيًا) كيف يثبت صاحب المقالة انَّ الرُّسل بشَّروا اولًا باللغة اليونانيَّة فقط ونعرف انهم كانوا من الاميين يتكلَّمون بلغة الجليل بلدهم . فكانت اذن في العليَّة الصهيونيَّة لغة الكنيسة الاولى اللغة الآراميَّة لا اليونانيَّة وبها تكلَّم بولس لجمهور اليهود في اورشليم (اعمال ٢١ : ٤٠) وكذا قُل عن اخوتهِ الرسل فيها

(ثالثًا) ان كانت اللغة اليونانيَّة كما زعم صاحب هذه المقالة شائعة هذا الشيوع الغريب فهل بقي من داعٍ لتلك الموهبة العجيبة التي اعطاها الروح القدس للرسل لمَّا انطقهم بلغات شتى يوم حلولهِ عليهم في العليَّة اذ كانت تكفيهم اليونانيَّة لتبشير الامم

(رابعًا) قال حضرة الكاتب انَّ كتب العهد الجديد (الَّا انجيل القديس متى) كُتبت باللغة اليونانيَّة فهذا دليل على انَّ اللغة اليونانية كانت شائعة عند كل الشعوب وانَّ هذه الاسفار لم تترجم الى اللغات الَّا بعد مدَّة طويلة . لكنَّهُ لم يلحظ حضرتهُ

---

١) ومقالة ساخو هذه هي التي استشهدنا بها في المشرق في عددنا السابق (ص ١٤٢) وكلها فوائد تثبت شرف اللغة الاراميَّة ومن جملة ما قال « انَّها امتدَّت مدَّة نيِّف والف سنة وان شعب اسرائيل ترك لغتهُ الاصليَّة ليتكلَّم بالارامية وان هذه اللغة لم تبطل الى ان اسقطتها اللغة العربيَّة ». امَّا ما استشهد بهِ حضرة الخوري الفاضل اوتجاس عيد من هذه المقالة فانهُ مع صحَّتهِ مناقض لفكر المؤلف لانهُ فصلهُ عن قرائنهِ . وما يريدهُ ساخو ان بطاركة كنيسة انطاكية مع كونهم آراميّين اخذوا التمدُّن اليونانيّ وغلَّبوا في كنيستهم اللغة اليونانية فكتب بها كتبة ذلك العصر ولا يريد بذلك كون الشعب كان يتكلَّم بهذه اللغة . ومع هذا فاننا قد قلنا مرارًا في المشرق انَّ سواحل الشام سادت بين أُدبائها اللغة اليونانية (راجع تاريخ الرومان لممسن وملحوظات نلدك عليهِ)

انّ الاناجيل الثلاثة كُتبت اولًا لقوم مخصوصين وكنائس خاصّة شاعت بينها اليونانيّة وانّ انجيلَي مرقس ولوقا اقتبسا في القالب عن متّى الذي شاع انجيله اولًا في اليهودية والبلاد الآرامية الى الهند امّا انجيل يوحنّا فكُتب لكنائس اليونان. على انّ هذه الاناجيل نفسها تُرجمت في اواخر القرن الاول الى السريانيّة كما بيّن العلامة الشهير الكردينال وِيسمان واثبتهُ كل المستشرقين. وفي القرن الثاني نُقلت الى القبطيّة ومن ثمّ الى بقية اللغات. امّا الرسائل فقد كُتبت ايضًا لكنائس مخصوصة ولغايات معلومة لا تدلُّ لغتها على ان كلّ المتدينين بالنصرانية في ذلك العصر كانوا يفهمون اليونانيّة

(خامسًا) انّ قول حضرة الكاتب عن دخول الالفاظ اليونانيّة في بقية الطقوس لا يدل على اشتقاق هذه الطقوس من اليونانيّة كما انّ وجود الفاظ ارامية في الطقس اليوناني كهوشعنا (او اوصنّا) وهللويا وماشيح (او ماسيًا) لا يدلّ على انّ الكنيسة اليونانية اخذت الطقوس الآرامية

(سادسًا) كيف يثبت حضرة الكاتب انّ الكنيسة اليونانيّة لم تأخذ شيئًا من طقوس غيرها. وقد بيّن حضرة الاب أرنت في مجلة المجموعات الكنسيّة (١ والاب باريزو البندكتي انّ عوائد وطقوسًا عديدة اتخذتها الكنيسة اليونانيّة من الكنيسة الغربية كما اخذت الكنيسة اللاتينية عن الكنيسة اليونانية بعض طقوسها وقد اثبتنا نحن ايضًا في المشرق (١ : ٣٣٣) ما قالهُ يوحنّا فم الذهب عن عيد ميلاد الرب ان الشرق اخذهُ في زمانهِ حديثًا عن الكنيسة الرومانية

(سابعًا) هل يمكن صاحب المقالة الفاضل ان يبين لنا صحّة ما قالهُ عن شيوع الطقوس اليونانيّة في الكنائس الغربية كرومة وايطاليا وفرنسا واسبانيا. وهل اتخاذ اللغة اليونانيّة مدة في بعض هذه الكنائس هو دليل على استعمالها ايضًا الطقوس اليونانيّة فاي علاقة بين الطقس واللغة ؟

هذه عجالة اثبتناها هنا لتفنيد بعض مزاعم المقالة التي نحن بصددها. وهي تتضمّن غير ذلك من المظانّ التي لا يسعنا ضيق المقام ان نتعرض لها هذه المرّة فعسى هذه الملاحظات تقنع حضرة الكاتب وترشدهُ الى ما فيه كلّ خير

(١ Arndt : *De rituum relatione ad invicem*, Rome 1885 — Dom Parisot : *Les rites orientaux*, Amiens, 1896

بلوغ المطلوب

في فنّ القنبرة والطوب

للشيخ محمد بن حسين عطّار زاده

نشرهُ الاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تتمّة لما سبق)

المقصد الثاني

في اصابة المرمى بقوة مغايرة لقوّة الرمي المتقدّم

وهي مبنية على هذين الجدولين: الاول منهما فيهِ الارتفاع وتمامهُ والثاني فيهِ اجزاء اقطار الارتفاع. وطريقة العمل بهما ان تجعل ما بحذاء خمس واربعين درجة من اجزاء اقطار الارتفاع معلومًا اولًا ووزن القوة التي رُميت بها اولًا من ارتفاع خمس واربعين معلومًا ثانيًا وما بحذاء الارتفاع المفروض الذي اخترتهُ معلومًا ثالثًا فالمجهول الرابع. مثلًا رمينا قنبرة من ارتفاع خمس واربعين درجة بمائتي درهم من البارود فقطعت مسافة ثمانمائة ذراع فأردنا ان نرمي قنبرة اخرى مساوية للاولى في القدر والوزن بشرط ان تقطع المسافة المذكورة من ارتفاع ثلاثين درجة مثلًا. فلا نشك ان القوّة المحركة لهذا الجسم المذكور اكثر من الاولى فنجعل ما بحذاء خمس واربعين درجة من اجزاء اقطار الارتفاع وهو خمسة آلاف معلومًا اولًا والقوة المعلومة (١ التي هي مائتا درهم من البارود معلومًا

---

١) ان النسبة التي بين السرعة (س) مباشرةً وزوايا الرمي هي هذه:

$$\frac{\text{س}^2}{\text{سَ}^2} = \frac{\text{جيب ٢ دَ}}{\text{جيب ٢ د}}$$

والمؤلف يعمل بدلاً منها النسبة الاتية:

$$\frac{\text{الوزن الاول}}{\text{الوزن الثاني}} = \frac{\text{قاطع زاوية التمام او نظير القاطع ٢ د}}{\text{قاطع زاوية التمام ٢ دَ}}$$

ثانيًا وما يحـذاء ثلاثين درجة وهو خمسة آلاف وسبعمائة وثلاث وسبعون معلومًا ثالثًا فنسطّح الوسطين ونقسم الحاصل وهو الف الف ومائة واربعة وخمسون الفًا وستمائة على المعلوم الاول وهو خمسة آلاف يخرج مائتان واثنـان وثلاثون درهمًا من البارود وهو مقدار القوة المقتضية لرمي القنبرة الثانية الى المحـل الذي رُميت اليه القنبرة الاولى من ارتفاع ثلاثين او ستين . وعلى هذا فقسْ ما لو جهل احد الثلاثة الباقية كما لا يخفاك بعد احاطتك بما تلوناه

الارتفاع	وتمامه	أجزاء اقطار الارتفاع	الارتفاع	وتمامه	أجزاء اقطار الارتفاع	الارتفاع	وتمامه	أجزاء اقطار الارتفاع
١	٨٩	١٤٢٢٦٨	١٦	٧٤	٩٤٢٥	٣١	٥٩	٥٦٦٢
٢	٨٨	٠٧١٦٨٠	١٧	٧٣	٨٩٤١	٣٢	٥٨	٥٥٦٩
٣	٨٧	٠٤٧٨٣٤	١٨	٧٢	٨٦٠٦	٣٣	٥٧	٥٤٧٣
٤	٨٦	٠٣٥٩٣٦	١٩	٧١	٨١٢١	٣٤	٥٦	٥٣٩٣
٥	٨٥	٠٢٨٧٩٣	٢٠	٧٠	٧٧٧٨	٣٥	٥٥	٥٣٢١
٦	٨٤	٠٢٤٠٤٨	٢١	٦٩	٧٤٧٢	٣٦	٥٤	٥٢٧٢
٧	٨٣	٠٢٠٦٦٨	٢٢	٦٨	٧١٩٧	٣٧	٥٣	٥٢٠١
٨	٨٢	٠١٨١٤٠	٢٣	٦٧	٦٩٥٠	٣٨	٥٢	٥١٥٢
٩	٨١	٠١٦١٨٠	٢٤	٦٦	٦٧٢٨	٣٩	٥١	٥١١٢
١٠	٨٠	٠١٤٥٦٩	٢٥	٦٥	٦٥٢٧	٤٠	٥٠	٥٠٧٧
١١	٧٩	٠١٣٣٤٧	٢٦	٦٤	٦٣٤٥	٤١	٤٩	٥٠٤٩
١٢	٧٨	٠١٢٢٩٣	٢٧	٦٣	٦١٨٠	٤٢	٤٨	٥٠٢٧
١٣	٧٧	٠١١٤٠٥	٢٨	٦٢	٦١٣١	٤٣	٤٧	٥٠١٢
١٤	٧٦	٠١٠٦٥٠	٢٩	٦١	٥٨٩٦	٤٤	٤٦	٥٠٠٣
١٥	٧٥	٠١٠٠٠٠	٣٠	٦٠	٥٧٧٣	٤٥	٤٥	٥٠٠٠

(تنبيه) ما قدّمناهُ من طريق استخراج المسافـة المجهولة بارتفاع مفروض او ارتفاع مجهول بمسافة مفروضة بنفس القوّة المتقدمة او بقوّة أُخرى اذا كان موضع الآلة مع مسقط القنبرة على خط موازٍ للافق كما اشرنا اليه

وامّا اذا كان مسقط القنـبرة وهو الغاية مائلًا الى الفوق او التحت اي مرتفعًا او منخفضًا عن الخط الموازي للافق فطريق استخراج الارتفاع المقتضي لرميها الى غايتها

هو ان يُضرب جيب تمام ميل الغاية في مقدار المسافة الافقيّة (١ اي مقدار المسافة على خطّ موازٍ للافق من محل آلة الرمي الى نقطة منهُ لو اخرج من الغاية عمود عليهِ لأصابها

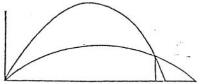
وكيفيّة استعلامها ان تضرب الجيب المنكوس لميل الغاية مطلقًا في بُعد الغاية عن محل آلة الرمي وتقسم الحاصل على ستين فالخارج هو مقدار المسافة الافقيّة. فاذا ضرب جيب تمام ميل الغاية في مقدار المسافة الافقيّة يُقسم الحاصل على مقدار المسافة البُعدى المجرَّبة ويضم الى الخارج من القسمة مقدار جيب الميل ان كان فوقيًا وينقص منهُ ان كان تحتيًا فما اجتمع او بقي فهو جيب زاوية استخرج قوسهُ فهو مقدار. قوس تلك الزاوية واطرحهُ من قف (١٨٠) يبقى تمامها الى قائمتين. فقد حصل معك زاويتان حادّة ومنفرجة فالحادّة عبارة عن القوس الذي استخرجتهُ والمنفرجة عبارة عن القوس الذي

---

١) مرجع قول المؤلف الى هذه النسبة :

جيب ٢ د / جيب ٢ دً = المسافة الافقيّة / المسافة الحقيقيّة

ويجعل ٦٠ بدلاً من جيب[٢] اَ . وذلك لان القدماء كانوا يقسمون نصف قطر الدائرة الى ٦٠ قسماً . وهو بمثابة جيب ٩٠ ثمّ يحسب المؤلف بعد هذا حسابَ خط الرمي الساجي (parabole) على الطريقة الهندسية . لكن الساجي على هيئتين منهُ مرتفع ومنهُ منبسط كما ترى في هذه الصورة ويجوز فلكّ المشكل بالزاويتين



والمحدثون يحسبون هاتين الزاويتين بحساب المثلثات وفقًا للنسبة الاتية وفيها ر تدلّ على الارتفاع و ك على المسافة وج على شدّة الثقل و س على السرعة

ر = ك ماسّة ك − (ج / ٢ س[٢] جم[٢] د) ك[٢]

وهم يجعلون ر مساوية لارتفاع المرمى و ك لمسافتها. والنسبة الناتجة بماسّة ك هي من الدرجة الثانية وجذراها يعرّفان زاويتي الرمي

يبقى بعد الطرح من قف. فاذ قد حصلت هذين القوسين فضم الى كل منهما مقدار ميل الغاية ان كان فوقيا او اطرحهُ منهُ ان كان تحتيا ان امكن ذلك والَّا فخذ التفاضل بينهما اذا كان الميل اكثر ثم نصف المجموع او الباقي فالنصف من الاول هو مقدار الارتفاع الاول والنصف من الثاني هو مقدار الارتفاع الثاني المقتضي كلّ من الارتفاعين لرمي القنبرة الى الغاية المقصودة

ولنمثّل لذلك بمثالين احدهما لِمَا اذا كان الميل فوقيا والثاني لما اذا كان تحتيا. فنقول في المثال الاول اذا اردنا ان نرمي قنبرة الى غاية ميلها الى جهة الفوق خمس عشرة درجة والمسافة البعدى المجرَّبة الف ومائتا ذراع والمسافة الافقيَّة ستمائة وعشرون ذراعا نضرب جيب تمام الميل المذكور في المسافة الافقيَّة ونقسم الحاصل على المسافة البعدى ونضمُّ الى الخارج من القسمة وهو ثلاثون تقريبا جيب الميل المذكور وهو خمس عشرة درجة ونصف درجة يكون المجموع خمسة واربعين ونصفا تقريبا وهذا هو جيب قوس الزاوية. ثم استعلم قوسهُ تجدهُ تسعا واربعين درجة وست عشرة دقيقة فاطرحهُ من قف يبق تمامهُ الى زاويتين قائمتين وهو مائة وثلاثون درجة واربع واربعون دقيقة فضم الى كلّ منهما مقدار ميل الغاية وهو خمس عشرة درجة يكن المجموع الاول اربعا وستين درجة وست عشرة دقيقة والمجموع الثاني مائة وخمسا واربعين درجة واربعا واربعين دقيقة فنصّف كلاً منهما يكن نصف الاول اثنتين وثلاثين درجة وثماني دقائق ونصف الثاني اثنتين وسبعين درجة واثنتين وخمسين دقيقة. فنصف الاول هو مقدار الارتفاع الاول المقتضي لرمي القنبرة الى الغاية المقصودة ونصف الثاني هو مقدار الارتفاع الثاني المقتضى لرميها المذكور

ونقول في المثال الثاني واذا اردنا ان نرمي قنبرة الى غاية ميلها الى جهة التحت عشرة درجة والمسافة البعدى المجرَّبة مجالها وهي الف ومائتا ذراع والمسافة الافقية مجالها ايضا وهي ستمائة وعشرون ذراعا نضرب جيب تمام الميل المذكور في المسافة الافقيَّة ونقسم الحاصل على المسافة البعدى المجربة ونطرح من خارج القسمة وهو ثلاثون تقريبا جيب الميل المذكور وهو خمسة عشر ونصف فالباقي وهو اربعة عشر ونصف تقريبا هو جيب قوس الزاوية فنستعلم قوسهُ نجدهُ اربع عشرة درجة فاذا طرحناهُ من قف يبقى مائة وست وسبعون درجة. فقد حصل قوسا الحادَّة والمنفرجة. فاذا اخذت التفاضل

بين القوس الاول وميل الغاية كان واحداً وبين القوس الثاني وميل الغاية ايضاً كان مائة واحدى وخمسين درجة فَنَصَّفْنَا كلاً من التفاضلين اعني واحداً ومائة واحدى وخمسين كان نصف الاول ثلاثين دقيقة ونصف الثاني خمساً وسبعين درجة وثلاثين دقيقة فالثلاثون دقيقة هي مقدار الارتفاع الاول للرمي المذكور والخمس والسبعون درجة وثلاثون دقيقة هي مقدار الارتفاع الثاني لهُ ايضاً وقس على ذلك ما يرد من اشباهه

الخاتمة

اعلم ان جميع ما ذكرناهُ من الاحكام في رمي القنبرة هو بعينهِ جارٍ في رمي كلّة الطوب الّا ان كلّة الطوب تُرمى من ارتفاع دون خمس واربعين غالباً بل من ارتفاع قليل من واحد الى عشرين اذ يُقصد بذلك هدم ما يقابلها واهلاك عساكر العدو وكل شيء يرمى بخلاف القنبرة فانها ترمى الى ما لا يرى ايضاً ولذا اوجبوا في رمي القنبرة الى شيء يُراد هدمهُ وتخريبهُ ان يكون ذلك الرمي من ارتفاع فوق خمس واربعين درجة بل فوق سبعين ليحصل للقنبرة زيادة قوَّة بسقوطها من الارتفاع المتزايد بسبب رفعة الخط الشلجمي (١ وفي هذا القدر كفاية . لمن كان ذا دراية . وان طاوعت القوة وساعد الاجل شرحنا هذه الوريقات شرحاً يكون مع ذكر البراهين الهندسيَّة . والنكات الفلسفيَّة . والضوابط العامليَّة . مذيّلاً ببيان كيفيَّة وضع اللغم وحفرهِ لرمي الحصون واهلاك العدو وما يتبع ذلك من التحسينات في امر الحروب . وتفريج الكروب . وبالله المستعان . وعليه التكلان . وكان انتهاء تأليفهِ في وقت مبارك ان شاء الله تعالى وهو السدس الثاني من النصف الثاني من السبع السادس من العشر الخامس من الثلث الثالث من الربع الاول من الثلث الثاني من العشر الثاني من العشر الرابع من الجزء الثالث عشر . من هجرة خير البشر (٢ . واني لمعترف بالقصور . من ارتقاء امثال هذه القصور . ولكن الفضل بيد الله يؤتيهِ من يشاء وهو العلي الغفور . كتبهُ لنفسهِ ولمن شاء من بعدهِ مؤلفهِ محمد عطّار زاده . منحهُ الله وزاده . امين يا رب العالمين

١) قلنا انَّ الخط الشلجمي او السلجمي هو ما يدعوهُ الفرنج « parabole » لشبهِ بشكل السلجم

٢) التاريخ المذكورة للساعة الثامنة من يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف (للمؤلّف)

الاديار القديمة في كسروان

دير ماري شليطا مقبس ودير مار يوحنّا حراش

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل الكريمي

قال العلامة الدويهي في تاريخ سنة ١٦٢٨: «عُني القس يوحنّا ابن القس يوسف محاسب من قرية غوسطا في تجديد وبناء دير مار شليطا مقبس فكان اول الاديرة التي أُنشئت في تلك البلدان وكان اخوهُ القس سركيس مترهبًا في دير مار انطونيوس قزحيا فانتقل الى اخيهِ»

وقال ايضًا عن بناء دير مار يوحنّا حراش: «في سنة ١٦٤٣ اشترى الاسقف يوسف العاقوري من الشيخ ابي حيش ارض مار يوحنا حراش في ارض درعون من ناحية كسروان وانشأ كنيسة جميلة على اسم السيدة وديرًا لاسكان البنات الناسكات حتى بلغ عددهنَّ نحو الثلاثين ورأس عليهنَّ الحاجَّة رفقة بنت القس حنَّا محاسب»

هذا ما اتحفنا بهِ الدويهي في تاريخهِ من امر هذين الديرَين فعلينا ان نعمل الفكر بما يزيد الامر وضوحًا

ونبدأ اولًا بدير مار شليطا فانهُ اقدم عهدًا ومنهُ بدأت سيرة النسك في كسروان كما قال الدويهي في محلٍّ آخر من تاريخهِ

وفي قول هذا المؤرخ الجليل الذي اوردناهُ في مطلع كلامنا ما يقودنا الى البحث عن امرَين: الاول نسب القس يوحنا محاسب. والثاني تاريخ الدير قبل ان جدَّدهُ اي هل كان يوجد حقيقة اطلال معبد او دير قبل ان جدَّد البناء القس يوحنا. ثمَّ نلحق هذين المبحثين ببحث ثالث وهو تاريخ الدير مذ جدَّدهُ القس حنَّا ومن تولَّى عليهِ من الرؤساء وما جرى فيهِ من الحوادث ونسرد بقدر الامكان تاريخ مكتبتهِ وما جرى عليها من الحدثان الى غير ذلك من الفوائد وعلى الله الاتكال

١ في نسب القس يوحنا محاسب

بعد البحث الحثيث عثرنا على كتابة عربيَّة بحرف سرياني كتبها احد رؤساء مار شليطا (ولم يصرّح باسمهِ) محفوظة في قرية غوسطا المجاورة للدير عند احد افراد عائلة بيت محاسب الذين لهم حق التولي على الدير ومن سياق هـذه الكتابة التي سنوردها

بحروفها يظهر ان كاتبها تلقَّاها عن مصدرين الاول عن كتابة كتبها الخوري يعقوب عوَّاد الحصروني الذي رقيَ الكرسي البطريركي سنة ١٧٠٥ وتوفي سنة ١٧٣٣ في دير مار شليطا ودُفن فيهِ كما يُستدلّ من التاريخ المنقوش على جدار الكنيسة وسنوردهُ في محلّه. ومما جاء في هذه الكتابة: ان يعقوب عوَّاد ارسلها الى الخوري سركيس نحاسب. وسركيس هذا هو الذي كان معاصرًا لعلّامتنا الدويهي ورقّاهُ هذا البطريرك الى وظيفة «بَرْدوط» اي زائر واطنب في مدحهِ في تاريخهِ. والمصدر الثاني هو التقليد الشفاهي الذي تلقّاهُ هذا الكاتب عن اجدادهِ وعن شيوخ قرية غوسطا وطنهِ واليك الكتابة بحروفها وهي لا تخلو من فوائد تاريخيَّة عن حالة بلاد كسروان بعد عود النصارى اليهِ عقيب خرابهِ الذي وقع سنة ١٧٠٣ على ما افاد الدويهي

نصُّ الكتابة بحروفها

«لمَّا كان تاريخ سنة ١٧٣٣ يونانية سنة ١٦٦٢ م كان رجل يقال لهُ باسيل من قرية مينا طرابلس الشام. هذا الرجل كان خائف من ابنه فخلَّف ثلاثة بنين الكبير يقال لهُ يوسف وحنَّا وسركيس. وفي بعض الايَّام صار خصومة بين يوسف وبين واحد من اولاد ضيعتهِ فضرب يوسف الرجل فقتلهُ. ولمَّا صار ذلك نزحوا في الليل وتركوا مقتنام ولم قدروا يجيبوا معهم الّا المعزى لا غير وراعي المعزى كان اسمهُ عون وهو جد الطائفة المقيرية بقرية غوسطا (١. وكان وصولهم لقرية ساحل علما وكانت الساحل كل سكانها اسلام فما سكنوا في الساحل بل طلعوا الى فوق الساحل الى موضع يقال لهُ خربة بقلوش (٢ فعمروها هناك وسكنوا سبع سنين وجابوا لعندهم مويَّةً رأس الماء (٣. وبلاد كسروان كان اغلبهُ خراب والنصارى قلال. وفي بعض الايَّام راح يوسف مع المعزى وهو على شط البحر واتى عليه رجل درويش وراد يجرّب يوسف ويجلب من المعزى بالجبر فضرب يوسف الدرويش وقتلهُ ودفنهُ في الرمل ولمَّا كان المساء علم والدهُ واخوانهُ بما صار فترحوا من الموضع المذكور وطلعوا الى قرية غوسطا والقرية المذكورة كانت حرش وما فيها لاعمار ولا بيان ارض فبيَّتوا مواضع وعمروا بيوت وسكنوا فيها. ثمَّ زوَّجوا عون الراعي من بيروت وعمروا لهُ وسكَّنوهُ جانبهم (٤ ولمَّا بيتوا الموضع جاءوا سكنوا عندهم طائفة يقال لهم بيت

---

١) هذه العائلة لم تزل حتَّى اليوم في غوسطا

٢) والآن يوجد على هذه الرابية دير لعائلة بيت الخازن يدعى دير بقلوش يسكنهُ راهبات عابدات

٣) هذا النبع يخرج بالقرب من دير الكريم وللان يوجد دواة تجري فيها المياه الى بقلوش والقسم الاخر يذهب الى ساحل علما

٤) ان هيئة غوسطا الحالية تحقق ما تقدَّم فمن نظر غوسطا عمومًا يرى شجر السنديان فيها من كل جهة بالقرب من البيوت وبين التوت ويرى بعض اماكن اشبه بغابة صغيرة. ومن المقرر ان كسروان عمومًا كان يشبه جبال سويسرا كما اشار الى ذلك الاب لامنس في احدى مقالاتهِ

الطبيخ (١ كانوا ساكنين في وطا محار (٢ ولمّا صاروا كم عيلة لزم انهم يقيموا لهم خوري يخدمهم فلزموا سركيس انهُ يرتسم كاهن . ثم ان سركيس ارتسم كاهن برضى والدهِ باسيل وانتقلت كنوة باسيل الى محاسب لاجل ان سركيس كان فيهم شاطر في الحساب . والبلاد كان عربان وتركمان . وفي بعض الايام كان سركيس فايت على بيروت ودربه على زوق مصبح والتركمان كانوا مدورين الجميلة (٣ في الزوق والتقام في خصومة لاجل الحساب (ثم يورد انهُ وقف بينهم راتهم كانوا يأتون اليهِ كلّ سنة ليعمل لهم الحساب وسموهُ المحاسب) وصارت كنيتهم الى يومنا بيت المحاسب

وخدم في الكهنوت سركيس ٣٧ سنة ومات بشيخوخة صالحة وكان ذو غيرة للناس كما يذكر كتاب المطبوخ عن غيرتهِ الذي كاتبهُ الخوري يعقوب الحصروني الذي كتبهُ الى الخوري سركيس المحاسب ومؤرخ بحيثهم في السنة المذكورة

ثم انَّ الخوري سركيس المذكور خلَّف ولد يسمى يوسف ومن بعد موت والدهِ بثلاث سنين رسموهُ كاهن عليهم فخدم في الكهنوت ٣١ سنة ومات وكان ذو قدوسية وخلف ولداً يسمَّى حنا وصار كاهن على القرية بعد موت والدهِ وخدم في الكهنوت ٣٩ سنة ومات وخلف ولداً يسمى يوسف ولاجل ان يوسف كان صغيراً اجتمعوا اولاد القرية ورسموا ابن عمهِ دوميط عليهم خوري وخدم الرعية الخوري دوميط ٢١ سنة فسعى في ابن عمهِ يوسف ورسمهُ كاهن بمساعدتهِ في خدمة الرعية والخوري يوسف المذكور عمر كنيسة في قرية غوسطا على اسم القديس مار ايليا ومذبح على على اسم مرت صوفيا وخلف ولدين خليل ويوحنا وقسم لخليل على حياتهِ وعطاه حصتَّهُ واستقام هو وابنهُ حنا ورسم ولدهُ حنا كاهن على حياتهِ على القرية لان نظرهُ كان شحٍّ » .

فمما تقدَّم يظهر باجلى بيان ان باسيل ولد يوسف وحنَّا وسركيس

ثمَّ ان سركيس سيم كاهنًا ودُعي محاسبًا لمهارتهِ في فنّ الحساب ومنهُ تسمَّت العائلة ليس باسم ابيهِ باسيل

ثم انَّ القس سركيس ولد يوسف وهذا سيم كاهنًا بعد موت ابيهِ الخوري سركيس

ثم انَّ القس يوسف ولد يوحنا وسيم هذا ايضًا كاهنًا وولد ولدًا سماهُ يوسف وهذا ايضًا سيم كاهنًا وولد خليل وحنَّا وحنَّا سيم كاهنًا بحياة ابيهِ الخوري يوسف وهذا هو القس حنا الذي يشير اليهِ الدويهي انهُ جدَّد الدير (ستأتي البقيَّة)

---

١) ان هذه العائلة لم تزل للان تدعى بهذا الاسم في غوسطا

٢) وطا محار بالقرب من دير سيدة النصر في نسبيه للرهبان اللبنانيين وهي لجهة الشمال الغربي من الدير وفي هذا المحل غابة من شجر الصنوبر

٣) مدورين الجميلة اي يرعون غنمهم ويبيعون من الباتها و المراد بذلك انهُ كان مرور سركيس في فصل الربيع حيث تكون الغنم انتجت واخذ الرعاة يبيعون من الباتها على ما اظنّ

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ولمّا صارت راحيل في مواجهة الكاهن الوقور بكت طويلًا في سرّها ثم ابتدأت تشرح له اخبار عذاباتها الجديدة وكان صوتها يقوى ويشتدّ في وسط الطبيعة المتلبسة وكانت الظلمة الناشرة لواءها تشجع القرينة المسكينة على ان تعرب بملء الحرّية عن حركات نفسها المنسحقة تحت وقر الالم والوجع

— آه يا ابي لك ان تظن فيَّ ما تشاء من الظنون كلاَّ انَّ الله ليس بعادل... ومن الآن فصاعدًا قد تقطَّعت كل علاقة بيني وبينهُ وكما تطير الاوراق اليابسة من امام وجه الزوبعة هكذا قد طار من قلبي ما كنت قد حفظتهُ فيهِ من الايمان القليل!

— التجئي يا ابنتي الى الصلاة فانها خير علاج

— لقد كنت انتظر منك هذه الكلمة المبتذلة بل هذه التعزية الخالية من كل معنًى والتي تصرف الانسان عن طلب غيرها. توصيني بالصلاة واي شيء عملتُ من يوم حلَّ بي العذاب ؟ ولكن ماذا ربحت غير زيادة الالم. فالله تعالى يُسرُّ لا محالة بتعذيب خلائقهِ... ولو انهُ اجاب صلاتي مرةً واحدةً او منَّ عليَّ وقتًا ما ببعض الراحة لكان في الامر ما فيهِ. فكيف تريد اذًا ان اعتقد عدل الله ؟ آه لو اني صرَّحت لك بكل شيء واعترفت لك بجميع ما في قلبي لرددتني خائبةً بل لا يبعد ان تلعنني ايضًا

— كلا بل اني ابكي معكِ واشاركك في حزنك. نعم انّي اتعجَّب ممَّا هو حاصل لكِ من الاضطراب والهيجان غير ان ذلك لا يسخطني ولا أُبالي بهِ والله تعالى يتولّى مغفرتك

— خرجتُ اوَّل امس من منزلي وركبتُ متن السفر دون ان افوه بكلمة صلاة او اصنع اشارة صليب كأني لست من الديانة بشيء.... وبما اني من الآن وصاعدًا اصبحت لا أُريد صلاة فستنقضي الامور عاجلًا وسأُقيم على انتظار نصيبي المرتبط بعمود الوجود... لماذا اعطاني الله هذه الحياة التي لم اطلبها منهُ ؟ واي حياة اعطانيها...

حياة اوجاع واحجية عذاب بل درباً حقيقة للصليب امضي فيها وانا ساكتة واجمة امام اله يتوارى عن الايدي الضارعة اليه ويصمّ اذنيه عن احرّ الصلوات ومع ذلك يزعم انهُ صالح . . . وغير متناهٍ في الصلاح

— لا ريب ان الألم قد اضلَّ عقلكِ وانطقكِ بالتجديف

— كلاَّ ان عقلي معي والذي قلتهُ قد افتكرت فيهِ ورأيتهُ عين الحقيقة والصواب . اتنكر ان الله عاملني بقساوة شديدة ؟ . ألا ترى انهُ قدَّم لشفتيَّ في اول الامر كأساً لذيذة حلوة ثم ابعدها عني بغتةً . أطعمني بالسعادة والغبطة في الحب الخالص المتبادل وما لبث ان حطَّني فجأةً حتى اراني العدم . . . ان الله تعالى لا بدَّ ان يكون الآن مسروراً لكوني اتوجَّع واقاسي . . . أقاسي من العذاب ما دونهُ عذاب الجحيم

امَّا الحبيس فابى ان يقطع تلك القرينة المنكودة عن اتمام شكواها واحبَّ ان تتكلَّم وتبثَّ احزانها واكدارها كما تشاء وتريد . واي بأس اذا باحت بكلما يكنّهُ قلبها وطرحت على قدميهِ كل اعتراضاتها وكلّما يجول في نفسها من الحركات الثائرة ؟ ففي مثل هذه الاوقات لا يجدي السكوت نفعاً بل يكون عند بعض الناس من اهول المسالك وافظع الخطط التي يتخذونها . أليس المسيح بعينهِ مع كونهِ الهاً قد اطلق العنان لطبعهِ البشري في وقت ضيقتهِ وتركهُ يصرخ تلك الصرخة الهائلة « الهي الهي لماذا تركتني »

وبما ان الاب يوحنا لم يُجِز جواباً على شيء من كلامها لانهُ كان قد قاق من سورة الحزن الثائرة في نفسها خاطبتهُ قائلة :

قل لي اي شيء يحمل الباري تعالى على تنكيد عيشي وتنغيص حياتي ؟ انك خادمه ومؤتمنه . . . فعليك ان تجاوبني

وكأن هذه المسكينة رهبت هول الجواب فاستأنفت الكلام بصوت اصمّ مختنق يتخذهُ عادةً من جاشت فيهم الاهواء فقالت :

عرفتُ من زمان مديد ايها الرجل البار انَّ الحب يُورث الجنون . ومع ذلك لم يخطر لي قط انهُ يحملني على اقتراف مثل هـذه الحماقة واي حماقة اعظم لمن هو في حالة كحالتي ان يطلب نصحاً ومشورةً من رجل بلغ الثمانين . . . من رجل قديس تجرد لله وانقطع عن كل اوهام الدُّنيا . . . فسامحني اذاً يا ابتِ ان قلت لك انك لا تفهم شيئاً من المحبَّة البشريَّة . . . فقد جاهدت اسابيع واشهراً كاملة لاكتم محبتي عن نفسي وعن

الغير ولكنني كنت كلما جاهدت بشدَّة فعلى نسبة ذلك يقلّ نجاحي وفوزي بالمبتغى... وكنتُ كعليل محترق من وهج الحمّى كلما اراد ان يرقد يأخذهُ القلق فيتقلّب على فراشهِ تارةً يصلي وتارةً يترنم ليلهو ويثير النعاس ولكنــهُ كلما سعى في نسيان الاشياء تكاثر تواردها على خاطرهِ فيقلق ويستمرّ قلقاً معذَّباً

هكذا جرى لي فقد مشيتُ على نصائحــك حرفاً بحرف. ولكنني كنت اذا سعيت في اطفاء محبتي زادت توهجاً. ولم تظهر لي في يوم من الايام بمثل هذا المظهر من القوة والشدَّة الّا وقتما كنت أحاول سترها ليلي مع نهاري. وزد على هذا ان ما كان يتبيَّن لي في بادئ الامر مستحيلًا ما عدت احسبهُ اليوم الّا لعباً ولهواً. نعم نعم ان اخفاء محبتي على شقيقتي وعلى زين ما هو غير دعابة ومزاح بالمقابلة الى صناعة كتمها على نفسي. اه لو تعلم اني في هذه التجربة الاخيرة خسرت كل ما كنت قد ربحتهُ من قبل بالمشقة والنصب... لاني لمَّا اردت ان أخفي محبتي على نفسي افشيتهــا من حيث لا اريد الى حنّة وزين. هذا فضلًا عن ان اضطرابي قد آل الى اقلاق راحتهما. ومع ان الاثنــين يقدّمان لي غاية ما يمكن من الانس والمراعاة ارى ان محبّة زين لم ترجع اليَّ لا بل قد تأكدتُ اني صرت مكروهة عندهُ ومستثقلة فهو يحسبني اليوم خفيفة العقل كثيرة الاخلاق مع انهُ كان من قبل قلَّما يكترث لي... وبناء عليه ما عدت ارى دواء لدائي غير الموت والخلاص من هذه الدنيا واكدارها المرَّة...!

٢٢

قالت هذه الكلمات الاخيرة وسكتت مدَّة وكانت قد خارت قوتهــا وضاقت انفاسها من وطأة الحركة الباطنة التي ثارت فيها فاسندت رأسها الى جدار قلاية الحبيس. فلمَّا شاهد منها النوتي المجهول هذا المشهد دنا فوقف على قدم الاستعداد لاسعافها عند اول اشارة تبدو منها. وكانت الريح تهبّ بشدة فترفع عباءتهُ الغليظة وتكشف للنظر سيفاً مرصَّعاً عُلِّق في منطقتهِ مع ثياب فاخرة لا يمكن ان يلبسهــا نوتي او فلاح من المقيمين في جوار البحيرة

اخيرا تنفَّست راحيل كأنها قد خلصت من وطأة امر بهظها (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب الطقوس الرهبانية

عُني بطبعه القس افرام الديراني احد مدبري الرهبانيَّة الحلبيَّة

(طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية ١٩٠١ . ص ٥١٨)

لا يزال حضرة الاب الفاضل القس افرام الديراني يتحفنا بتآليفه ومجموعاته المفيدة تتوالى كلها بوقت قليل وتدلُّ على نشاط عظيم. والكتاب المعنون آنفًا مطبوع بالحرف الكرشوني وهو « يحتوي طرائق دينيَّة ورتبًا كنسية يجب ممارستها في جميع اديار الرهبانيَّة القانونيَّة المارونيَّة الحلبية وفقًا لما عيَّنهُ مجمع مدبّري هذه الرهبانية في مجمع اللويزة سنة ١٨٤٠ ». على انَّ هذا الكتاب يفيد كلَّ الموارنة ولاسيما الرهبان والكهنة لما فيهِ من الصلوات والرتب التي تجري في اكثر كنائس هذه الطائفة الجليلة. فأمتعنا الله زمنًا طويلًا بهمَّة مؤلف هذا الكتاب ونفع رهبانيَّتهُ وابناء الطائفة المارونيَّة بتآليفهِ الدينيَّة

الكوكب الشارق

في مريم سلطانة المشارق

وضعهُ بالافرنسية الاب لوريول اليسوعي

وعرَّبهُ يوسف جرجس ابو سليمان المتيني الماروني (مطبعتنا الكاثوليكية ١٩٠٢ ص ٢٩٦)

ان هذا الكتاب مع كتاب امجاد مريم للقديس الفونس ليغوري وكتاب المتعبِّد لمريم للاب بولس سنيري احسن ما طُبع في الشرق عن مناقب العذراء مريم والتعبد لها. وهو يقسم الى اربعة اجزاء. يشمل الجزء الاول منها على سيرة البتول والدة الله (ص ١–٩٢) منذ حبلها الطاهر من الخطيئة الاصليَّة حتى انتقالها الى السماء. ومدار الجزء الثاني (٩٣–١٥٢) على مناقب العذراء مريم وفضائلها السامية. امَّا الجزء الثالث (١٥٣–٢١٤) فموضوعهُ العبادة لمريم وبيان اسبابها وصفاتها مع ذكر تعبد الشرقيين لها لاسيَّما في طقوسهم المختلفة. وقد أُلحق هذا الجزء بجزء رابع (٢١٨–٢٨٩) ضمَّنهُ ٣١ خبرًا عن البتول ونعمها الممنوحة لعبيدها. فمن خواصّ هذا الكتاب انهُ يشمل

كلَّ ما يحتاج اليهِ المسيحي ليستدلَّ على عبادة العذراء وصوابيَّتها وطرائقها. ومنها انهُ يصلح لقراءات الشهر المريمي وقد جعل المؤلف في آخر الكتاب جدولًا للفصول التي تحسن مطالعتها كل يوم منهُ مع الخبر المناسب لكل فصل. ومنها ايضًا ان صاحبهُ الفاضل جمع فيهِ ما امكنهُ من اقوال آباء الكنيسة الشرقيَّة ورُتبها الطقسية وامثالها ما لم يوجد في غيرهِ. ومنها اخيرًا انَّ تعريب الكتاب على طريقة حسنة تجمع بين السذاجة ومتانة التعبير وهو امرٌ جديرٌ بالاعتبار لانَّ الكتب الروحيَّة المطبوعة حتى اليوم هي في الغالب غريبة العبارة يشتمُّ منها رائحة اصلها الاعجمي. وفي صدر الكتاب صورة جميلة تزينهُ. فنثني على مصنّف هذا التأليف وعلى متولي تعريبهِ ونحضُّ كلَّ المؤمنين على الانتفاع بهِ وهو يُطلب من مطبعتنا الكاثوليكية ل. ش

شذرات

المعمَّرون قد أُحصي آخرًا في اوربَّة عدد الذين أربت سنُّهم على مئة سنة فكانت نتيجة الاحصاءات كما يلي: لألمانية السبق في عدد المعمَّرين فوق مئة سنة وعددهم يبلغ الآن ٧١٨ شخصًا ثمَّ يليها بلاد السرب وفيها ٥٧٥ رجلًا من الذين جاوزوا المئة من عمرهم ثمَّ اسبانية وعددهم فيها ٤٦١ نفسًا ثمَّ فرنسة وعددهم ٢١٣ ثمَّ انكلترة وعددهم ١٤٦. امَّا اكبر هؤلاء المعمَّرين سنًّا فهو اميركي يسكن اليوم ريو دي جانيرو اسمهُ برونو كوتريم وعمرهُ ١٥٠ سنة. فكيف ينكر بعدئذٍ الملحدون انَّ بعض الآباء عاشوا في القرون الاولى مئين من السنين مع ما كانوا عليهِ في ذلك الزمان من شدَّة البنية وتمام القوَّة وسذاجة العيش

ترياق لشفاء سم الافاعي يعلم القراء انَّ لبعض الافاعي سمًّا زؤافًا ينفث في دم المصابين فيصرعهم فتُسلي ببضع دقائق. مثال ذلك الحيَّة الهنديَّة المعروفة بكُبرا تقتل في السنة اكثر من ٢٢٠٠٠ من الهنود. وكذلك بعض افاعي بلاد الجزائر والصحراء. غير انَّ العلماء الفرنسيين قد داووا هذا الداء على طريقة باستور فنجحوا نجاحًا تامًّا وذلك انهم ينزعون من الحيَّات سمَّها ثمَّ ينفثونهُ في بعض الحيوانات كالارانب مثلًا ويأخذون مصلها فيطعّمون ببعض سنتيمترات منهُ المصابين بسمّ الحيَّات فيشفون

❦ ثمن صورة لرافائيل المصوّر الشهير ❦ قد ابتاع الغني المثري مرغان الاميركي بثمن مليونين ونصف مليون من الفرنكات صورة صوّرها الايطالي رافائيل الطائر الشهرة وهي تمثّل العذراء مريم وفي حجرها طفلها يسوع كان المصوّر اهداها لكنيسة القديس انطونيوس البادوي في بيروز

❦ عاديّات العجم ❦ قد ارسلت الحكومة الفرنسوية سفينة الى خليج العجم لتستجلب منها ١٨ طنّاً من العاديّات الثمينة التي اكتشفها فيها العلامة الفرنسي دي مورغان. وكانت حكومة العجم قد سمحت لبعثة افرنسيّة الحفر في بلادها على شروط معلومة قامت بوفائها الحكومة الافرنسيّة

أسئلة وأجوبة

س سُئلنا: ١ً من هو هذا الشيخ ابو نادر خازن الخازن الذي كان رئيس عائلتهِ سنة ١٦٨٠ (كما ورد في المشرق ٥: ١١٥) لانّا لم نعرف بهذا الاسم احداً غير الشيخ خازن المتوفَّى سنة ١٦٤٧ في غزّة تموز كما جاء في تاريخ الدويهي واخبار الاعيان. اما ابنهُ فهو ابو نوفل الشهير المتوفى سنة ١٦٧٩. ٢ً كيف امكن البطريرك طوبيّاً الخازن (المشرق ٥: ١٢١) المتوفّى سنة ١٧٦٤ بعد ثلاثين سنة من الاسقفيّة والبطريركية ان يخلف وهو قسّ في رئاسة دير القديس روحانا المطران جرمانوس الخازن الذي تفيد سلسلة الاسرة الخازنيّة انهُ حفيد شقيق البطريرك طوبيّاً وانهُ توفي بعد السنة ١٨٠٧

(الجواب) نعهدهُ الى كاتب المقالة التي وردت فيها هذه المشكلات

س وسُئلنا هل جاء حقيقةً في كتب اوريجانوس ما نسبهُ اليهِ حضرة الخوري اوغلوس عيد «بانّ التكلّم بالسريانيّة في عصرهِ كان دلالةً على الذل والتوحُّش»

اوريجانوس واللغة السريانية

ج هذا هو كلام اوريجانوس بالحرف اليوناني نتبعهُ بتعريبهِ. قال في كتابهِ السابع ردًا على كِلسوس (مجموع الاباء اليونان لمين ج ١١ ص ١٥٠٨):

Ὁ τοὺς Αἰγυπτιάζοντας ἢ τοὺς Συριάζοντας ὠφελεῖν ὑγιέσι δόγμασι βουλόμενος Ἕλλην τυγχάνων προενοήσατο ἂν μαθεῖν τὰς τῶν ἀκουσομένων διαλέκτους, καὶ, ὡς Ἕλληνες ὀνομάζουσι, βαρβαρίζειν μᾶλλον ὑπὲρ τῆς Αἰγυπτίων καὶ Σύρων βελτιώσεως ἢ Ἕλλην μένων μηδὲν δύνασθαι χρήσιμον λέγειν Αἰγυπτίοις καὶ Σύροις.

وهذا تعريبهُ بالحرف: لو حاول يونانيٌّ ان يفيد اهل مصر او اهل سوريّة بالتعاليم

الخلاصيَّة لكان احرى به ان يباشر فيتعلَّم لغة سامعيه ويتكلَّم كما يقول اليونان برطانتهم من أن يحافظ على لغتهِ اليونانيَّة فلا يجدي نفعًا اهل مصر وسوريَّة ». فترى من هذا القول اولًا ان اوريجانوس لم يقل البتَّة انَّ اللغــة السريانيَّة هي لغة الذلّ والتوحُّش . وانما قال فقط انَّ اليونان يدعون لغة السوريين والمصريين رطانةً . ومعنى فعل Βαρβαρίζω عند اليونان تكلَّم بلغة غير اليونانيَّة كما يدعو العرب اعجميًا كلَّ من لم يتكلَّم بلغتهم . وترى ثانيًا انَّ اهل سوريَّة ومصر في ايَّام اوريجانوس لم يتكلَّموا باليونانيَّة . وكلا القولين ينافي قول حضرة الاب اونجلوس عيد

س سأَلنا ي . ع . ر . مستفيد من وسترماس في اميركا : ١ً هل عرف آدم الخير والشرَّ قبل اكلهِ ثمرة شجرة معرفة الخير والشر . فان عرفهما قبل ذلك فما سبب تسميتها بهــذا الاسم . وان عرفهما بعد فلماذا عوقب عن اكلهِ منها مع جهلهِ بخواصها . ٢ً هل يقبل الله الندم وقد قال جلَّ جلالهُ : قد ندمت نفسي لاني خلقت الانسان . ٣ً لماذا قال الله لموسى قبــل خروج شعب بني اسرائيل من مصر بان يطلبوا من المصريين امتعة فضة وذهب وثيابًا ليسلبوها منهم

حلّ مشاكل كتابية

ج نجيب على (الاول) انَّ آدم عرف الخير والشرَّ قبــل اكلهِ من ثمرة شجرة معرفة الخير والشرّ . ولم تُدعَ هذه الشجرة بهذا الاسم لأنهــا كانت تُطلع آكلها على الخير والشر بل لانها وُضعت لاختبار الانسان فيبقى صالحًا بطاعتهِ لامر الله وامتناعهِ عن اكل ثمرها ويضحي طالحًا اذا تجاوز هذا الامر باكلهِ منها . نجيب على (الثاني) ان الندم يُنسب الى الله على سبيل المجاز كما تُنسب اليهِ افعال اخرى بشريَّة كالغيظ والبغض والانتقام وما شاكل ذلك . وانَّما المراد بهــذه الندامة ان يعلم الانسان ما في الخطيئة من القبح اذ انها بفظاعتها استوجبت عقاب الله . قال القديس امبروسيوس : يريد الكتاب انَّ الخطيئة بلغت من السماجة غايةً من شأنهــا ان تحرّكَ في قلب الله نفسهِ الغيظ والغضب والندم على فعلهِ لو كان الله قادرًا ان يتأثر بمثل هــذه الاهواء . ونجيب على (الثالث) انَّ الله امر شعبهُ بان يطلبوا هــذه الامتعة من المصريين فيأخذوها لهم كغنيمةٍ تعويضًا عن الخدم والاتعاب التي اثقل بها المصريون عاتقهم لمَّا استعبدوهم لاشغالهم الشاقَّة وسخَّروهم بابنيتهم جورًا

ل . ش